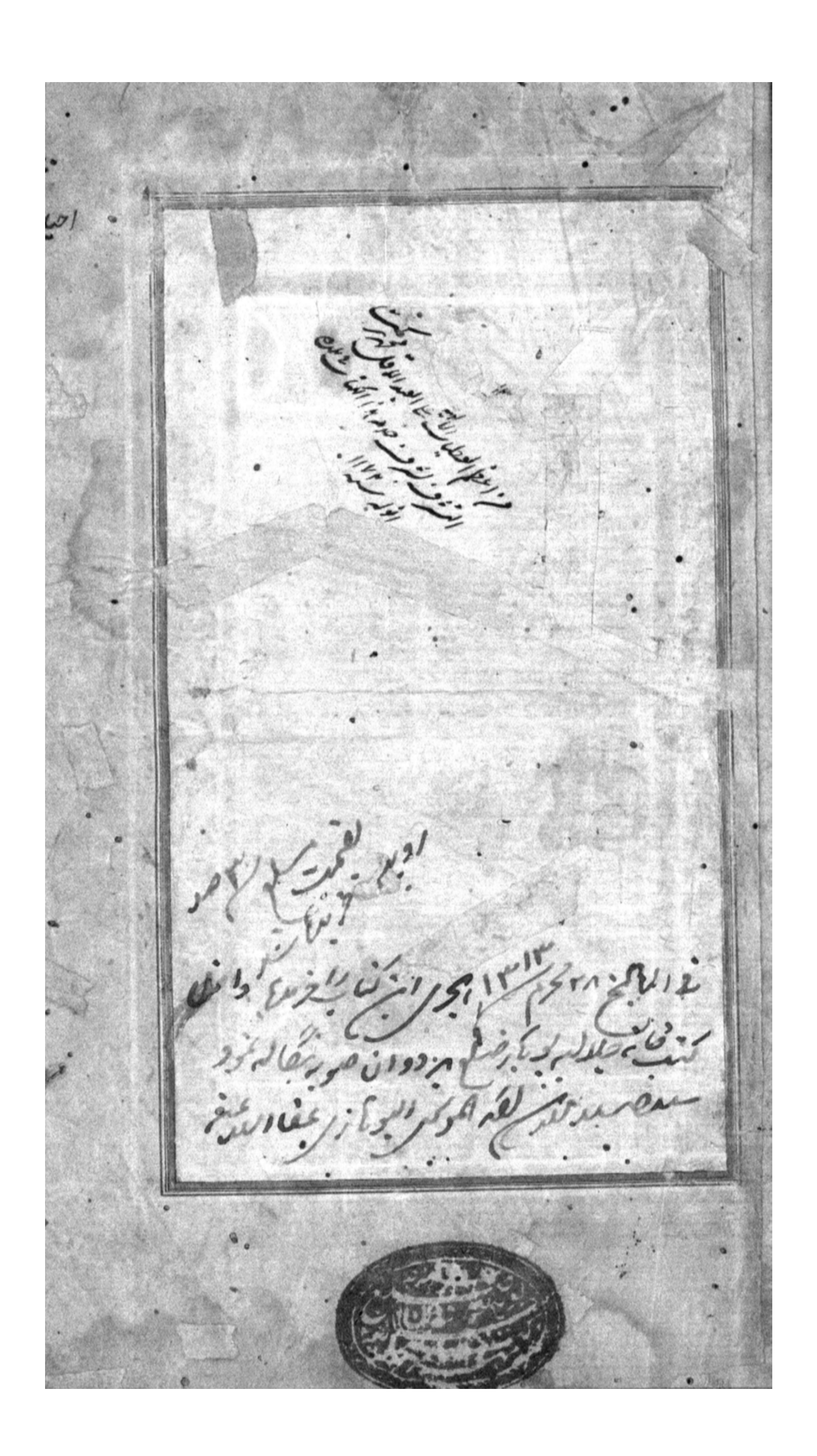
احياء علوم الدين

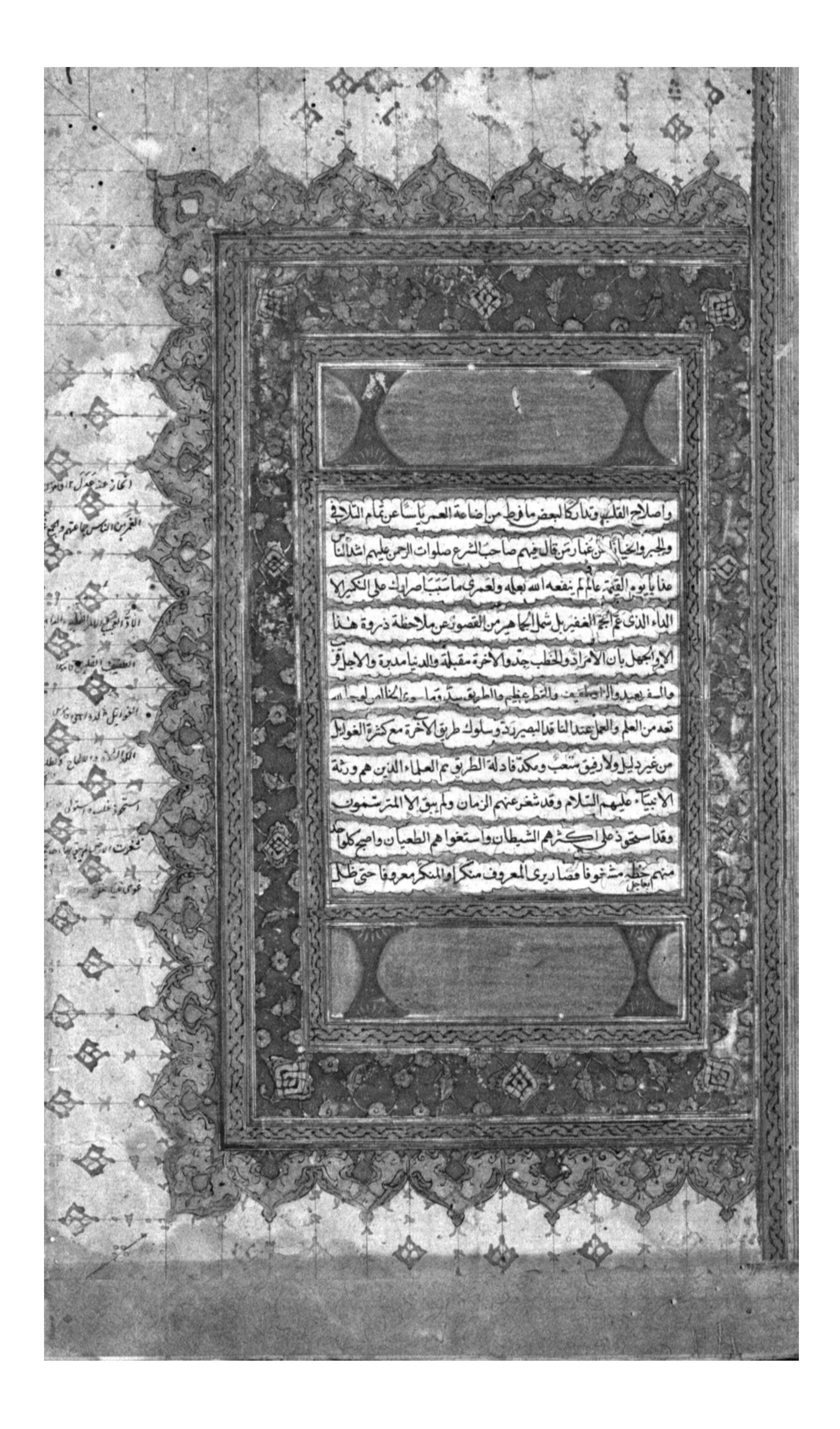






بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل
دون جلاله حمد الحامدين واصلى على رسوله ثانيا صلوة تستغرق
مع سيد البشر سائر المرسلين واستخيره سبحانه وتعالى ثالثا فيما
انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى احياء علوم الدين . وانتدب لقطع
تعجبك رابعا ايها العاذل الغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين
المسرف فى التقريع والانكار من طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل
عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلدنى قلادة النطق
ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين
الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن
ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس



واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأساً عن تمام التلافي
والجبر والحياة من غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الرحمن عليهم اشد الناس
عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ولعمري ما سبب اصرارك على التكبر الا
الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا
الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والاخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب
والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما [illegible] ء الخالص لوجه الله [illegible]
تعد من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع كثرة الغوائل
من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة
الانبياء عليهم السلام وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون
وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد
منهم بحظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل
بعاجل

علم الدين مندرسا ومنازل الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة
يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام اوجدل يتذرع به طالب المباهاة الى الغلبة
والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذلم يروا ما سوى هذه الثلثة مصيدة الحرام
وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما
وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما
وخطبا مدلهما رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الايمة المتقدمين وايضاحا
لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع
العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف فيه اولا
عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الاعيان بطلبه على لسان رسول صلعم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة واميز فيه
العلم النافع عن الضار اذ قال صلعم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم
بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب فاما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب
قواعد العقايد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة كتاب الزكوة واسرارها كتاب اسرار الصوم ومهماته
كتاب اسرار الحج ومهماته كتاب اداب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل
احياء الليل في الاوقات اما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب اداب الاكل كتاب
آداب النكاح كتاب اداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب اداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق
كتاب العزلة كتاب اداب السفر كتاب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب آداب
اخلاق النبوة وآداب المعيشة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجايب القلب
كتاب رياضة النفس كتاب كسر آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج كتاب آفات اللسان كتاب
آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر
والعجب كتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر
كتاب الخوف والرجا كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والانس والشوق والرضا
كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده
فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقايق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم
العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع
العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقايق سننها وخفايا الورع في مجاريها

ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في
جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن
بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه
ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هولاء فيسألون الله
ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هولاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال
عليه الصلوة والسلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت
الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا
وزرعوا وكانت منها طايفة لا يمسك ماء ولا ينبت كلاء فالاول ذكر مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكر مثلا للنافع
والثالث للمحروم منهما وقال عليه السلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة
جارية وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس
ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال النبي عليه السلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفائك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث الحديث
فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض
العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان
فمكث ولا يسأله انسان فقال اكتروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا
على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك
فقال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعض العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره
وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد
الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن
معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا
وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من
يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم
والتعلم ورأيته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد
وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء
والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء والسلاح على الاعداء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم

في الخير قادة هداة يقتدى بهم وادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم وكل رطب ويابس لهم مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم
حيوة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الايمان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات
العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يورع وبه يوصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء

الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد
منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا
حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا اشترك شيئان
في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس
افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض
حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ومعنى نقصان من المعنى وليس من الكمال في
شئ والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة في ذاته ان
اخذ بالاضافة الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في
ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملايكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير
من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره
والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره
الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا هما والحصباء
بمثابة واحدة وانما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى وانما الذي يطلب
لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها
والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا
لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم
الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل الى ذلك
الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو
اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب
العالمين والالتحاق بافق الملايكة ومقارنة الملا الاعلى هذه في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار نفوذ

الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبيا الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على
التوقير لاشياخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز
الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم يختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة
فضايلها بتفاوتها اما فضيلة التعلم والتعليم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام
للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا ولم يتخذها
وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم ينحصر في ثلاثة اقسام
احدها اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن
والسياسة وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها القسم الثاني ما هي مهياة
لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها
وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها القسم الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز
للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة
اليه فانها ثلثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب
والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف
اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها
ما لا يستدعيه ساير الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة ساير الصناع والسياسة
في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا
سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم
على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبيا
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في
ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربع
بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق
المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من ساير الحرف والصناعات لان شرف
الصناعة [illegible] بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية
اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة

علي الصياغة واما بالملاحظة للمحل الذي فيه التصرف فلفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب
ومحل الاخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الاخرة وانما تدرك بكمال العقل
وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يصل
الي جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف
يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جز
من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم
العلم من وجه عبادة الله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم
العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون في الانفاق منه على كل محتاج اليه فاي
رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة الماوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد
هو وبيان تفضيل علم الاخرة بيان العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب
العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض
على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل
الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله
وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات
وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب
والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اي علمنا فقال بعضهم هو علم العبد
بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال
ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله عليه السلام بني الاسلام
على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به
المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمنا في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة
وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها على ثلاثة [illegible] اعتقاد
وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه [illegible] الشهادة

وفهم معناها وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر
والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك
قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب
بالتصديق والاقرار من غير تعليم تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادي واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض
عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك
مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور
الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان
يعيش من ضحوة النهار الي وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة وان كان
صحيحا وكان بحيث لو صبر الي زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل
بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاوه فيجب عليه تقديم التعلم علي الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي
هو شرط للعمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الي رمضان تجدد
بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الي غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك
عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادي الي روية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه
لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم
يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذي في ساير الاصناف فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة
الي علم الحج مع ان فعله علي التراخي فلا يكون وجوب علمه علي الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه علي
ان الحج فرض علي التراخي علي كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتي ربما يري الحزم لنفسه في المبادرة
فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك
نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه علي وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق
بالفقه وهكذا التدريج في علم ساير الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد
من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب علي الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا علي الاعمي تعليم ما يحرم من
النظر ولا علي البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال
فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا
في غصب او ناظرا الي غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له علي القرب كالاكل يجب
تعليمه حتي اذا كان في بلد يتعاطي فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه

وجب تعلمه وأما الاعتقاد [illegible] يجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها
كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله
قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا لكن
هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع
فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عن ذلك بتلقين الحق فانه لو القي اليه
الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا
وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب
ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا لكن
في حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم
من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع
ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلث
من المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف
الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في
ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه
اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من
تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله
ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت
ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته فيتجدد عليه لوازم فيلزمه
السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه عليه السلام
انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين
لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه **بيان العلم الذي هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض
لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية
وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا يرشد العقل اليه
ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو
مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى [illegible] فرض كفا

والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في
حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو
خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا تتعجب من قولنا ان الطب
والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة
بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل
الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة
لا فريضة فالتعمق في دقايق الحساب وحقايق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة
في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه
فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه اما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان
فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة
فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله
وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية
وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي لا يحيط العبارات بما ادرك بالقراين فمن
هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه
ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان
تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو
غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جايعا او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا
ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال
القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا
الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها
وهو الذي يحويه الشطر الاول الضرب الثالث المقدمات وهي التي تجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو
فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزم الخوض فيهما
بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن
الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ
بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك

في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراآت ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان
اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص
والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا
واما المتممات في الاخبار والآثار فالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة
في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به
فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت
الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق
فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم وهذه
غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج
السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا
بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم
امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا
يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس
له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق
بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة
فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء آخر والقيام
بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها امر آخر ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها امر آخر وحاصل فن الفقه معرفة
طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مأمور او متكلف فالامير
هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد
كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وما كانوا يحترزون اذا سئلوا عن
علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من يتقلد خطر الفتوى وهو غير متعين
للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات
وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات
من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلثة الاسلام والصلاة

والصيام والحلال والحرام واذا تاملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الاخرة واذا عرف
هذا في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت
فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه بعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه
حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل
يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله
وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم
والمال واما الاخرة فلا ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من الفقه وان خاض
الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه واما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة
الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى اخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته
في السوق الا عند التكبير وهذه الصلاة لا ينفع في الاخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن
الفقيه يفتي بالصحة ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فاما الخشوع واحضار
القلب الذي هو عمل الاخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه واما الزكاة
فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع واخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته
وقد حكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في اخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة
فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الاخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم
هو الضار واما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في
عدالة الشهادة وهو الذي يخرج به الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر
الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال عليه السلام دع ما يريبك الى
ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام
قال عليه السلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث
باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي
الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا
يفيد زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه

لا بالدرجة الاولى في تصحيح الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلب وكيفية العمل
بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في
شي من صفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شي من الطب
والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر وقد كان سفين الثوري وهو امام في علم الظاهر
يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان
والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق
بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية
غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب
فهو ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب
فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر
الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر
عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك
من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف
علم الآخرة فان قلت فصل لي علم الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه فان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان
علم مكاشفة وعلم معاملة فاما علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم
يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان
فيه خصلتان لم يفتح له بشي من هذا العلم بدعة او كبر وقال آخر من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به
وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره انه لا يرزق منه شيا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة
فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف في ذلك النور امور كان يسمع
من قبل اسماءها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته
التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي
ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء
وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين

فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب
ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء
الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة
والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول
تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد
لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء
وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام
وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى تتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا
يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات
الدنيا وانما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة
صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب
ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالتعلم وهذه
هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشيء منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة
وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل
المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان الله لم يحقره اذ آتاه العلم واما
القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد
والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة
والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة
ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد
والحقد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة
والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر
والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين
للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية
منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن

ومن مكر الله في سلب ما اعطي والاتكال علي الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف علي فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة
الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها
وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوي علماء الاخرة والمعرض عنه هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة
كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوي فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض
العين بالاضافة الي صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الي صلاح الاخرة ولو سيل فقيه عن معني من هذه المعاني
حتي عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله
هلاكه في الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة
التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الي شي منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مونة التعب فيها فلا
يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه
علم الدين وفرض علي الكفاية ويلبس علي نفسه وعلي غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر
في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل
الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطبا من احكام الفقه ثم لا نري احدا يشتغل به ويتهاترون علي علم
الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوي والجواب عن الوقايع
فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قايم به هل
لهذا سبب الا ان الطب ليس تيسر التوصل به الي تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد
القضاء والحكومة والتقدم به علي الاقران والتسلط به علي الاعدا هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس
العلماء السو فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان
وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي رحمه الله
يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك
يسال هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما علمنا وكان احمد بن حنبل ويحيي بن معين يختلفان الي معروف
الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل
اذا جانا امر لم نجده في كتاب الله ولا في السنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شوري بينهم ولذلك قيل علماء
الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت

من عندي لمن يجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده علي المتكلمين
ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الي ان من حصل
الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم تورد في اقسام العلوم الكلام و الفلسفة
ولم تبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن
والاخبار مشتمل عليه وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق
بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن
تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها
كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به
المبتدع اذا قصد الدعوة الي البدعة وذلك الي حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة
فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف
عليه ان يتجاوز بهما الي علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الي البدع فيصان الضعيف عنه
لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن
مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الي مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل
وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته
وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة
وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طايفة من المتكلمين واهل البحث والنظر وانفردوا بمذاهب باطلة فكذلك
الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام
العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان
الطبيب ينظر في بدن الانسان علي الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك
ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة
الصناعات الواجبة علي الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع
كما حدث حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم
يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الي الزيادة علي ما عهد في عصر
الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن

من جملة الحجاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشارك سائر العوام فيها وهي من
جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله وصفاته وافعاله
وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما الوصول
اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان
قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة
الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان
عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء
والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين
فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق
الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة
وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم
ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة
صلاة ولا كثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله
عليه وسلامه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس
عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف
من الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب
نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى
هذا الامير الذي تقلد امور الناس ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع
الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك
وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام
والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب
صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره واما قولك ان
المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس
شيء آخر فلقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر

بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله
وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم
والسمعة والريا والراغب في الشهرة فيكون التشبه فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقها والمتكلمون
مثل الخلفاء والقضاة قد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب به ريا ولا سمعة فاولئك
اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب
وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان
يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب
الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس
ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك ايكون يوم
القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم عليك من التقليد لمجرد
الاشتهار خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سير فقهاء
السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم
الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الآخرة كما سياتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة
وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف
والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى
والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نورد من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان
ما ذكرنا ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في عملهم وسيرهم فالفقها
الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد
بن حنبل وسفيان الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح
الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمسة خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة
واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة لا يصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة
تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات
فلا يقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربعة فان معرفتهم بالفقه ظاهر
اما الشافعي رحمة الله عليه فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة
وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان

البويطي احد اصحابه وكان يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي رحمه الله ليلة
فكان يصلي نحو ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين آية فاذا اكثر فمائة وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله لنفسه
ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا
فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي ما شبعت
منذ ستة عشر سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه
عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد
تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله
ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسيل الشافعي رحمه الله عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال
حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء
واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال
احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل
العلم فالتفت الشافعي رحمه الله الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان
المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شي في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة
السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة
الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى انه جمع بين
حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف
الى مكة بعشرة الاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى
فرقها كلها وخرج مرة من الحمام فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه مرة من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه
جزاء على ذلك خمسين دينارا وسخاوه اشهر من ان يحكى وراس الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه
فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله واشتغال
همته بالآخرة ما روي ان سفيان بن عيينة روى حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال
ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نذكر
العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد
الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا
يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه

فلما اتاني جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد
وكان هو بالعراق قعدت على الشط اتوضا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوك احسن الله اليك
في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال
هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيا فقال لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى
ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت بلى قال من كان فيه ثلث خصال فقد
استكمل الايمان من امر بالمعروف وايتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى قال كن في
الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي
فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد
الا من معرفة الله فانما يخشى من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما يخشى
من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم
الآخرة التي هي مستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم
الآخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه كما روي انه سيل عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة عقدها الهوى حيال ابصار
قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي رحمه الله اذا انت خفت على عملك العجب
فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلا تذكر فانك اذا افكرت في
واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج العجب وهما من كباير آفات القلب
وقال الشافعي رحمه الله من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب
ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسال الشافعي عن مسايل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين
فقال الشافعي التمكين درجة الانبيا ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تع
امتحن ابرهيم عليه السلم ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلم ثم مكنه وامتحن ايوب ومكن له وامتحن سليمان ثم آتاه ملكا
والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن الله تع وآتيناه اهله ومثلهم
معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السايرين الى الله من الانبيا
والاوليا وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير العلوم
فنظر فيما فاته فقيل لجالينوس انك تامر للدا الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منها واحد وانما

عمل جهد غيره ليسكن ضحكه لان الاقران قائل نهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة واما
ارادته بالفقه خاصة والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب
الي منه شي فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله
وقال الشافعي رحمه الله ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطي وقال ما كلمت احدا الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان
ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال
ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودفع الحجة الا سقط
من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة
هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون مثل
الشافعي رحمه الله وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف
الداعي والى درجة المدعو وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء
لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء
فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان احمد رحمه الله يقول ما مس
بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربع سنين الا وانا ادعو
فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن
الحصر واكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن محمد بن ابرهيم المقدسي رحمه الله في مناقب الشافعي
واما مالك رحمه الله فانه ايضا كان متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال
حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا
حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في جلوسه على
وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور
يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله واما ارادته وجه
الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي ويدل عليه ايضا قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا
سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه
بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان
ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على
مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع

يعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المومنين ساله وقال هل
لك دار فقال لا ولكن احدثك فيه حديثا سمعت ربيعة بن عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال
لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان
تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطا
فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما تنفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم
فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في
وجوه الخير ويدل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان
سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره الدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله انه قال رايت على باب
مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد
الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحي من الله تعالى ان اطا تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر
الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره
الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا
منك الموطا قال فقلت اعز الله امير المومنين ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم
يوتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى يسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رحمه الله فلقد كان
ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه فاما كونه عابدا فيدل عليه ما روي عن ابن المبارك انه
قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف
الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال
انا استحي من الله تعالى ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن
عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية
واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده
سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك
فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة

قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي يتوقع ان يوتى بالمال
صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا
بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك
بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك
التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي
انه دعي الى ولاية القضاء فقال الا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح وان كنت كاذبا فالكاذب
لا يصلح للقضاء واما علمه بامور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا
وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله وقال شريك النخعي كان ابو
حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال
بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة واما احمد بن حنبل وسفيان
واتباعهما اقل من هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب
مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة وتامل ان
هذه الاحوال والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه
من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان او يثمرها علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء
بهم صدقوا في دعواهم ام لا والله الموفق للصواب

الباب الثالث

فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما
وبيان تبديل اسامي العلوم وهي العلم والفقه والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم
الشرعية والقدر المذموم منها بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به
وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في
حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر ما اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات
وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض
بسببه حتى اخبره جبرئيل بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر
وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من
المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بها الى الاستعانة بالشياطين
ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها

معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الي الشر شر فكان ذلك هو السبب
في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم
عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشي على ما هو عليه
ولكنه مذموم لادائه الي الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه
غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان سير الكواكب محسوب اذ قال تعالى
والشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله
يرجع الي الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث
من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلم
اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم
ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه
اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها
الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى
الخير والشر محذورا من جهتها ومرجوا منها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره
على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى
ومثال نظر الضعيف الي حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على
سطح قرطاس وهو تنظر الي سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا ترتقي في نظرها الي مشاهدة
الاصبع ثم منها الي اليد ثم منها الي الارادة المحركة لليد ثم منها الي الكاتب القادر المريد ثم منه الى
خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن
الترقي الي مسبب الاسباب هذا آخر اسباب النهي عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض
ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث
انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلم فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم
وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب
عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب
وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء يمطر اليوم مهما راى الغيم

يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمي النهار بالشمس ويتبدد الغيم وربما يكون
بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا يدري وكذلك تخمين الملاح ان السفينة
يسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة
يصيب في تخمينه وتارة يخطي ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا وثالثها انه لا فايدة فيه
فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة للانسان بغير فايدة
غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل
علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة
او سنة قايمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير
فايدة فان ما قدر كاين والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما يطلع عليه
وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث
الخوض في علم لا يستفيد الخايض فيه بفايدة فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن اسرار
الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها
الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق
وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه
ولا ينكر كون بعض العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوي اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب
شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته وانها
لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد
دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها
واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال
الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم
رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك
على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه
الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة
فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك
وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من

ضرره اكثر وكم من شي تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه
كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبياء اطباء القلوب
والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه
فيقتضي عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلى الكف من الجانب الاخر من
[illegible]ن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها
[illegible]ن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقايق سنن الشرع وآدابه وفي عقايده التي تعبد الناس
[illegible]لطيفة ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غاب عن اهل
[illegible] حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجايب والغرايب
[illegible] الاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقايها وطهارتها وزكايها واصلاحها للترقي الى جوار
[illegible]ات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع
[illegible] التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة
[illegible] التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة
الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقايد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان
يهديك الى صدق النبي عليه السلم ويفهمك موارد اشاراته واعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع
فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومعلوم ان العلم
لا يكون جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال
عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف
الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معاني غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول
وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب
المناصب في الدين ولكنها نقلت الان الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف
بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا
بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوي والوقوف على دقايق عللها واستكثار
الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه
ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقايق افات النفوس ومفسدات

الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الي نعيم الآخرة واستيلاء الخوف علي القلب ويدلك
عليه قوله تعالي ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا
الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له علي
الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالي لهم قلوب لا يفقهون بها
واراد به معاني الايمان دون الفتاوي ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعني واحد وانما يتكلم
في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالي لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق علي قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ
لتفريعات الفتاوي او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم علماء حكماء فقهاء للذي وفد
وسئل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار به الي ثمرة الفقه والتقوي
العلم الباطن دون الفتاوي والاقضية وقال عليه السلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلي
قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة
عنه الي ما سواه ولما روي انس بن مالك قوله صلي الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالي من
غدوة الي طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الي يزيد الرقاشي وزياد النميري
وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب علي اصحابه ويسرد الحديث سردا انما
كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمي تدبر القرآن وعد النعم
تفقها وقال عليه السلم لا يفقه العبد كل الفقه حتي يمقت الناس في ذات الله وحتي يري للقرآن وجوها
كثيرة وروي ايضا موقوفا علي ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل علي نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال
فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد
وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم علي
عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك
الحافظ لفروع الفتاوي ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوي في الاحكام الظاهرة ولكن
كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له علي علم الآخرة اكثر فبان من هذا
التخصيص تلبيس بعث الناس علي التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلوب ووجدوا علي ذلك
معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الي طلب الولاية والقضاء والجاه
والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي

بهو اسم محمود في الشرع به اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وبآياته وبافعاله في
عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة اعشار العلم
فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل
بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم
ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا
تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وبافعاله وصفاته
وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد
بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا للخلق كثير
من طلبة العلم اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق
المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف
الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع
ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على
من يفتح بابا من الجدل والمماراة واما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى
قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد
عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى
روية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته
التوكل كما سياتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضاء
والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك
طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني
فعال لما اريد وسياتي شواهده في كتاب التوكل ان شاء الله وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران
احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب
بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح
به النصارى ولكنه يصدر من المنافق المخالف الذي يخالف سره جهره القشر الثاني ان لا يكون في
القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد
عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان

يري الامور كلها من الله روية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوي فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تع افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلي الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوي وعلي التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الي دين آبايه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الي المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوي ويخرج من هذا التوحيد التسخط علي الخلق والالتفات اليهم فان من يري الكل من الله كيف يتسخط علي غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الي ما ذا احول وباي قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعني الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الي القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الي الله علي الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الي الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتي يكون الوجه اليها متوجها اليه تعالي عن ان يحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتي وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يري الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالي قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخري وانما موقع نظر الله تعالي هو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالي وذكر فان الذكري تنفع المومنين وقد ورد في الثنا علي مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في الهوي سوي ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الي بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويسمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الي ما تري اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص والاشعار والشطح والطامات واما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الي القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتي ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القصاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم

والسجع

وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش
جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص
يا شيخ الا تستحيي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا
القصاص والسؤال واخرج علي كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه
اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان
ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها
وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر حيث
قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور
مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن
الا بعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث
حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص
التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص ويخرج عن القصص الواردة في القرآن ويزيد عليه
فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه
اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله ما
احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان
صحيح الرواية فلا ارى به باسا وليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم
العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات يغطي عليها
فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن
بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيد
ذلك جراءة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص
المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع
الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان
فان في الصدق مندوحة عن الكذب فيما ذكره الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع
في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع
هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

لعبد الله بن رواحة في سجع بين ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة وكان السجع ما زاد على كلمتين ولذلك لما
قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال
صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم
الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار
ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف
العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار
من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع
الى نوع فساد فلا ينبغي ان تستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب
الله ولم يكن معهم غيرهم فاذاك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما
يستمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة
عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة على باب دار ابن سالم وقيل له تكلم فقد حضر اصحابك
فقال ما هولاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس اي اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين من الكلام
احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال المغني عن
الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة
بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه
كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني
سبحاني وهذا فن من الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا
مثل هذه الدعاوي فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك
المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة
ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل
عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في
بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما
ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام
يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا

جلام

على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رايعة وفيها عبارات هايلة
وليس وراءها طايل وذلك اما يكون غير مفهومة عند قايلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في
خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيم
ذلك وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة
ولا فايدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان ويحمل على ان يفهم
منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث
احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا
ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه
قايله فان كان يفهمه القايل دون السامع فلا يحل ذكره قال عيسى صلوات الله عليه لا تضعوا الحكمة عند
غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء
وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا
فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ
الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية في التاويلات
وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن
صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط
به منفعة كلام الله وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل يتعارض
فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيم ضررها وانما قصد
اصحابها بها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية
الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب
المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله
اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي
قوله والق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا
فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن
ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وعن ساير العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانه
قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كان

لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الملائكة والشياطين وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق
التاويل الى الفاظه وكذلك حمل التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول
تسحروا وهلموا الى الغدا المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب
الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم
ينقل من ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق
ووعظهم ولا يظهر لقوله عليه السلم من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا النمط
وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد
لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط
والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان
جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا
بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه
يقصد به دعوة الخلق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في
نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلم من كذب علي متعمدا
فليتبوا مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي
الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت
هولاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف
بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس
وهو الحكمة** فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة
على كف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تع عليها فقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وقال عليه السلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة
عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم
اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق

ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرر عليه ثم قال هم
علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي
بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب
الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا
كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين
يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس
قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت
ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة اعلم ان العلوم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم
قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية
ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال
ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو
بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره
ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا
وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربي
على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم
المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة
على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور
عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض
اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت
تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة
احوال علماء الآخرة كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية
القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر
الرزق لا بقدر الجهد لكن لا غناء فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها
واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل

علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن احد
رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح
غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب
ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الطهارة والصلاة والصوم وانما الاهم الذي
اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد
والرياء والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال باعمال الظاهرة
يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد
والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء
الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب
وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب
كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة المفتتة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد
وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم
العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة
في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش
نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي
الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب
داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه
من تلك الحيات والعقارب اذا هممن به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم
وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع
التدريج فيها فابتدا بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر
علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة
ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم
على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه طالبا للاستقصاء فان العلم
كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره
فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق

ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب
والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه
والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي
النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء
ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين
بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك
من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصيله تحصيلا تقدر على
طلب ما يحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات
الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم
مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار
فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة
امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما
وراء ذلك من التطويلات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار
منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد
فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة
مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد
تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته
لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا هو عاجز عنه وانما انت تلبيس بقوة
المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد
التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس
وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين
الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة
الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة
لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع الا

بمثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين
وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار
المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثله في السلف فاياك ان تخوض
فيها وان تحوم حوله فاجتنبه اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب
المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيل غوائله وآفاته وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس
اعداء ما جهلوا ولا يظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد
على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا
يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب
والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة [illegible] الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوي
من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس
المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل
اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب
الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن
من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في
الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت
والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك فيما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى
بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها
فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل
وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم اهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله
تعالى فاحذرهم ان يفتنوك وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح
عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي
الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل وعن علي بن
نصير الحضرمي عن ابيه قال رايت الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت ما احدا اعقل من الخليل
لاسالنه فقال لي رايت ما كنا فيه فاني لم ار شيئا مما رايت انفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر والله اعلم

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوي والاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوي وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوا بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوي والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوي وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوي والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوي الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسايل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله عليهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفين واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات

والقاموس...
والقاموس...

وهم مستمرون عليه الي الآن وليس بيدي ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث علي الاكباب
علي الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الي الخلاف مع امام آخر من الايمة او الي
علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولا يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب
لهم سوي التقرب الي رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الي ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن
الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون علي النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة
الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم علي الامام
اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسايل الفرايض وغيرها
وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك [illegible] يوسف وغيرهم من العلماء ويطلع علي هذا
التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون علي طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات الاول
ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل
بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجر في تحصيل
الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه
ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون
لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب
القربات الي الله عصي بذلك فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع
فيه الوقت والشرط والترتيب الثاني ان لا يري فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأي ما هو اهم عصي
بفعله وكان مثاله من يري جماعة من العطاش اشرفوا علي الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر
علي احيايهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا عنها البلد
لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن
كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين
كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قايم بها واما الفتوي فقد قام بها جماعة
ولا تخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد
طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول علي قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال
به وكذي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته

لي تر ومن خبر الي آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا
ينظرون فيه التاسع ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم
يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في
ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الي من يناظر
لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولي على قلبه وهو اعدي عدو له
لا يزال يدعوه الي هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب
في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمحصلين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات
الآفات التي نعددها ونذكرها بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق
اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغ[illegible] والافحام واظهار الفضل والشرف عند الناس
وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند
عدو الله ابليس ونسبتها الي الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس
وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الي الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما
ان الذي خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الي ارتكاب بقية
الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهات
دعاه ذلك الي اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق
سياتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الي مجامع ما يهيجه
المناظرة فمنها الحسد وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما
دام يبقي في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوي نظرا فلا بد
ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به
فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم
حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة
ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع
رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك
المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الي فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس

يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند
مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المومن منهي عن
اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وساير انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله
بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر
يخلو عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى
مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن
الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق
ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على
ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده [illegible] بل مهما صدر من خصمه ادنى تشبيب فيه قلة
مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه ابد الدهر الى اخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى
باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية
تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية ويحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان
فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض
عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها
تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل للحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه
ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في
اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانما انا المتفنن في العلوم والمستقل
بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه
ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى
ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود
مناظر الى البلد فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه
في افضاحه وتخجيله اذا مست الحاجة اليه حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه
فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به
ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبيب ولا يمتنع عن الافصاح ان كان
متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما يحكى عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها

الفرح بمساة الناس والغم بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق
المؤمنين وكل من طلب المباهات باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسابقونه
ويساوونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان احدي الضراير اذا رات صاحبتها
من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر لونها فهكذا تري المناظر اذا رأي مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه
فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء
الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتي قال الشافعي
رضي الله عنه العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم
بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان يستتب الانس مع طلب الغلبة والمباهات هيهات هيهات فناهيك
بالشي شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق ولا
يحتاج الي ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا
يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب
وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب
نعوذ بالله من ذلك فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن
وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمي ابصارهم رواه الحسين وقد صح
ذلك بمشاهدة الحال ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص علي المماراة فيه حتي ان ابغض شي
الي المناظر ان يظهر الحق علي لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصي جهده ويبذل غاية
امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم يصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث
من طبعه داعية الي الاعتراض عليه حتي يغلب ذلك علي قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب
البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلي الله عليه وسلم الي ترك
المراء بالحق علي الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك
المراء وهو محق بني له بيتا في اعلي الجنة وقد سوي الله تعالي بين من افتري علي الله كذبا وبين من
كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن
كذب علي الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم
وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الي اكبر الكباير كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر
لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش

الباطنة سوي ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الي الضرب واللكم وتمزيق الثياب
والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستادين والقذف الصريح فان اوليك ليسوا معدودين
في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشرة نعم قد يسلم
بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده
واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم ينشعب من كل واحدة
من هذه الخصال العشرة عشرة اخري من الرذايل ثم نطول بذكرها وتفصيل احادها مثل الانفة
والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر
والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب
والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج
الخشية والحرمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي
يقوله ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة
مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الي غير ذلك من امور
لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها علي حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم
دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس
بها واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب
القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى
اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم علي الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من
يطلب بعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه
فقد ضره مع انه لا ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب
الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان
لم يتفق الاصابة لم يطمع في سلامة الارذال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة
في المناظرة فايدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد
صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير
ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل علي ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس

وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك
بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور
متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل
تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب
الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس
فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل
زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من
اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم [illegible] ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف
من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب
مهربا من سبع ضار يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهورا وخامل وضراوة سباع النار بالجهال
بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه
كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع
والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب
ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل
كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت
مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار اليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده
وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه
يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة
العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك
لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب فراق
ما بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران
فان قلت فقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم
في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن السؤال اي دع

السؤال قبل اوانه والمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من
مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي كرم الله وجهه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال
ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفش له سرا ولا تغتابن عنده احدا
ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه
وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته الوظيفة الرابعة ان يحترز الخايض في العلم في مبدأ
الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان
ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه وقوته ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا
الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه
مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر
من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل
ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز
عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان
الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك ان وظايف الاقوياء تخالف وظايف
الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ
النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيتراءى الى الناظر انها بطالة
وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو
افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي
نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز
للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلائه
الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته وبمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز
لغيره حتى ابيح له نكاح تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان
كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى يجر الى معصية الله في
طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلوم فنا
من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر
طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط

لا تدرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب
الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في
ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به
غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تاكل نفسها
وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما
مسعد نفسه وغيره وهم الداعون للخلق الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه
مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول
الخلق واقامة الجاه فانظر في اي الاقسام [illegible] ما الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله
يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الريا بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي
عنك الريبة فيه ان شاء الله

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظايفه كثيرة ولا ينتظم تفاريقها تسع جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة
النفس عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن
الى الله وكما لا يصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبايث الاخلاق وانجاس
الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس
والمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اذ باطنه ملطخ بالخبايث والنجاسة
عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبايث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في
الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملايكة بيتا فيه كلب والقلب بيت
وهو منزل الملايكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد
والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملايكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم
لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملايكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او
يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلب انما يتولاها الملايكة الموكلون بها وهم المقدسون
المطهرون المبراون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزاين رحمة الله

الظاهر ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه
عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق
الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان
يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى
التنبه لكونه ايضا عرضة للمصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه
الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت
من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية
وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق
لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور [illegible] يلاحظ المعاني دون الصور والصور في
هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني في
الصور فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم
ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار
وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم
فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك
العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي
يسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك
من العلم في شيء وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب
وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكان هذا اشارة الى اخص
ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان
العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني
ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم
ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما
اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب
الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح

الوظيفة الثانية

ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة

بالبغض ويستبينه منه في الحال الانكشاف عن الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس
اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر شعر ومن يك ذا فم
مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك
نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات
والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله تع الوظيفة السادسة
ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف
جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة
والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي
تلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصينه عن مراوغات الخصوم
كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن
الخبائث ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به
سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي
الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وساير الصحابة حتى كان
يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات
الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفيه وان ذلك غير معقول فينبغي
ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة
الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها
معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبيا ثم الاوليا ثم الذين يلونهم
وقد روي انه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت
كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء
وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب الوظيفة
السابعة ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة
والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة
الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف
لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب

اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولي فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين ويهذا تبين
ان اشرف العلوم العلم بالله وملايكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الي هذه العلوم فاياك
وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه
وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الي جوار الملا الاعلي من الملايكة والمقربين
ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة السفها ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محاله
الاقرب الي مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الي ساير العلوم اعني
علم الفتاوي وعلم النحو واللغة المتعلقتين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات
والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا يفهمن من غلونا في الثنا علي علم الآخرة تهجين
هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة مجاهدون في
سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردو ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم
ولا ينفك واحد منهم عن الاجر اذا كان قصده اعلا كلمة الله دون حيازة الغنايم فكذلك العلما
قال الله تعالي يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالي هم درجات عند
الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل علي حقارتهم اذا قيسوا
بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوي فهو ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبيا ثم للاوليا
ثم للعلما الراسخين ثم للصالحين علي تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة** ان يعلم نسب العلوم الي
المقصد كي لا يوثر الرفيع القريب علي البعيد والمهم علي غيره ومعني المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا
والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصاير
ما يجري مجري العيان فالاهم ما يبقي ابد الآباد وعند ذلك يصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال
سعيا الي المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا
الاقلون والعلوم بالاضافة الي سعادة لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبيا
وفهموه دون ما يسبق الي فهم العوام والمتكلمين علي ثلاث مراتب فبعضهم بينهما بالموازنة بمثال
وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك علي الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الي
العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك
العتق والخلاص من شقا الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثه اصناف من الشغل الاول تهيئة

٦

الاسباب بشراء الناقة وحرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه
الي الكعبة منزلاً بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد التربع عن هيئة الاحرام
وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الي آخرها
ومن اول سلوك البوادي الي آخره ومن اول اركان الحج الي آخره وليس قرب من ابتداء باركان الحج من السعادة
كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا
ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح
البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات
وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق
وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها
لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري
مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة
وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة
النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه
الي المقصد ولم ينتهض له او انتهض الي جهته لا علي قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو
من اصحاب الشمال او من الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو الحق اليقين
عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا
فيه من حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من
قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم
المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو
الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طرق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة
البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به
الي المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس علي نهج العدل
والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الاديان

وعلم الابدان واشار الي الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبه
علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الي الله لينال قربه هو القلب دون البدن
ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر عنه
بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولي لذلك السر وبواسطته
صار جميع البدن مطية وآلة لذلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مظنون
به بل لا رخصة في ذكره وغاية الماذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام
المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوب
الي الله ولكن نسبته اشرف من نسب ساير اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلي من الخلق
وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى [illegible]مة بهذه الرتبة علي السموات والارضين اذ
ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقايل بقدم الارواح
مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود
ان هذه اللطيفة هي الساعية الي قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما
البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج
وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح
المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة علي البدن ولو كان الانسان وحده
لا احتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق علي جهة
لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل
الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الي المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس
وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من تقاتلهم هلاكهم بسبب
التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال
في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج
وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال من الناس في المعاملات والافعال
فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح
قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في
دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقايق الاسباب التي بها يستحكم

الحفوظ التي بها تحرز راية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل الي علم المكاشفة
كنسبة اوليك الي سالكي طريق الحج او ملابسي اركانه فتامل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك
غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراة تامة علي مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم
لمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظايف المتعلم **بيان وظايف المرشد المعلم** اعلم ان للانسان
في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار
لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السوال وحال انفاق علي نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به
سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال الطلب والاكتساب وحال التحصيل المغني
عن السوال وحال الاستبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال التبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم
وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت الس[illegible] كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي
يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي
يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح يضيء لغيرها وهي تحترق قال
الشاعر ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما
وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظايفه **الوظيفة الاولي** الشفقة علي المتعلمين وان
يجريهم مجرى بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار
الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين
فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الي
الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدايمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا
علي قصد الاخرة لا علي قصد الدنيا فاما التعليم علي قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه
وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا علي المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب فلا
يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا
فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الي الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها
منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الي الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر
الي الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الاخرة
تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الي طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله تعالى انما المومنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم

بعض عدوا الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه
فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب اليه ولا يرى
لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله
بزراعة العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب
الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب
فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن
والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل
مداسه بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس
ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين [illegible] رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة
للمعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام
والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق
الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر
وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار
عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان
يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف
الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة
قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله
تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم
الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان
هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان
هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم
التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها
فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن ينتبه في
اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يؤدي الى
الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ

لتنضج الطبع وقد فعل الله تعالى ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا
حب الجاه ليكون سببا لاحيا العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة
التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال
وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة
فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان ولقد قيل لسفين
الثوري رحمه الله وقد رآي حزينا ما بالك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم
جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا الوظيفة الرابعة وهي من دقايق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم
عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح
يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبهك على
هذا قصة آدم وحوا عليهما السلم وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك ليكون سمرا بل لتتنبه بها على
سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معاني
ذلك فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته الوظيفة الخامسة
ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته
تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان
العجايز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان
فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان يجتنب بل المتكفل
بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي
التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه
فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه
حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث
اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث
لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي كرم الله وجهه واشار الى صدره ان ههنا علوما
جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم
كل ما يعلمه الى كل احد هكذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه

وقد قال عيسى عليه السلم لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها
فهو شر من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك
والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسيل بعض العلما عن شي فلم يجب فقال السايل اما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان
جاء من يفقهه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن
يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق فمن منح الجهال
علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى
اليه الجلي اللايق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش
قلبه ويخيل اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله
في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من
العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقايد الماثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن
مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى
وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع
السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام
في حقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعة التي
هو بصددها ويملا قلبه من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليه شبهة
فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب
البحث فانه يتعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص الوظيفة الثامنة
ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار وارباب
الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيا وقال للناس لا تتناولوه
فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذ لما كان
يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف
ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن خلق
وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقد قال الله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك
كان وزر العالم في معاصيه اكبر اذ تزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه

وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي كرم الله وجهه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم
والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن
المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء
الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون
المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله ابن آدم وعلم في
القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا
لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في
النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده الجمه بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف
عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم
يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين
فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد
فانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان
جاهل القلب والعمل وقال الحسين لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى
السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة
له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من
لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه
يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري
انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال
الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم
فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما
يلعب به الدنيا وقال الحسين عقوبة العلماء موت القلب وانشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى

ومن يشتري دنيا بالدين اعجب وقال النبي صلي الله عليه وسلم ان العالم يعذب عذابا يطيف به اهل النار
استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
يؤتي بالعالم يوم القيمة فيلقي في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطيف
به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهي عن الشر وآتيه وانما يضاعف
عذاب العالم علي معصيته لانه عصي عن علم ولذلك قال تعالي ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصاري مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا
انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالي يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وقال تعالي في قصة بلعم ابن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
حتي قال فمثله كمثل الكلب وذلك للعالم الفا[illegible] فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الي الشهوات
فشبهه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الي الشهوات وقال عيسي عليه السلم
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت علي فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الي الزرع ومثل
علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها
عظام الموتي فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد
عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا
بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احدهما
اسخطت الاخري وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخري وانهما كالمشرق والمغرب
مهما قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كالقدحين واحدهما مملو فبقدر ما تصب منه في
الآخر تفرغ من هذا فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما
يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الي ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء
من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل
بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الي آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم
هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة علي الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عليه السلم ان ادني ما اصنع بالعالم

اذا اثر شهوته علي محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق
محبتي اولئك قطاع الطريق علي عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا
كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب
وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيي بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة
اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه علي دينكم فان كل محب
يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع
بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الي اخ له انك قد اوتيت علما فلا
تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعي اهل العلم في نور علمهم وكان يحيي بن معاذ
الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم
جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية وماتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا
وراعي الشاء يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح
اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين اتري ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال ما اشك
ان من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثيرة ولا تظنن ان ترك المال
يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت
الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا الي رزقي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر
وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهب عني شهوة الحديث حدثت وقال
هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة
ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك
قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد
البشر صلوات الله وسلامه عليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم
كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتي الا العلماء والعلماء
سكاري الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص علي وجل حتي يختم له به وقال ابو
سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الي الدنيا وانما
اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسي عليه السلم
كيف يكون من اهل العلم من مسيرة الي آخرته وهو مقبل علي دنياه وكيف يكون من اهل العلم من

يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروي ابو هريرة انه عليه السلم قال من طلب علما مما يبتغي به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالي علماء السوء يا كل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه الي قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الي قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معني القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروي ابو الدرداء انه عليه السلم قال اوحي الله الي بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلي من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لافتحن لهم فتنة تذر الحكيم حيران وروي الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان البحار ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم علي الله يوم القيمة سيدا شريفا حتي يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشتري به ثمنا فعذب حتي يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسي عليه السلم فجعل يقول حدثني موسي صفي الله صلي الله عليه حدثني موسي نجي الله حدثني موسي كليم الله حتي اثري وكثر ماله ففقده موسي فجعل يسئل عنه فلا يحس له اثرا حتي جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسي اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسي يارب اسالك ان ترده الي حاله حتي اساله بما اصابه هذا فاوحي الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن علي صاحبه الخطاء وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او يهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يري اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من

النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من
النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار
ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء
من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك
بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي من غير ارب وفي خبر آخر ان العبد
لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من
مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الآف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا با
سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك
انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر
موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى
خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة
الى النصيحة وقال مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل
العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به
قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا
الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلم يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك
امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت
النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال
الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيمة الى النار قبل عبدة الاوثان وقال
ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل
الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم
وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل
علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم

يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما
اذ عبت منهم امورا انت تاتيها وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال
ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب يا ابن آدم انت بما تعلم
لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على
الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات
الله وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا
جاء الاعراب ذهب الخشوع وروي مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم
ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله
تبارك وتعالى يوم القيمة على رووس الاشهاد وقال معاذ بن جبل احذروا زلة العالم لان قدره عند
الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث
بهن ينهدم الزمان احديهن زلة العالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه
عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمايهم مثل السباخ من
ذوات الملح ينزل عليها قطر السما فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلما الى حب الدنيا
وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك
عالمهم حين يلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب
فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل
مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر
ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم
مثل القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة
وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علما يزهدون
الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتون يوثرون
الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنيا دون الفقرا يتغايرون على العلم كما يتغاير
النسا على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اوليك الجبارون اعدا الرحمن وقد روي

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله فكيف ذلك قال يقول اطلب
العلم ولا تعمل به حتى لا تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوّفا حتى يموت وما عمل فقال سري السقطي اقبل
للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول الي كم تضيع العلم ضيعك
الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود
ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شيتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا
فان السفها همتهم الرواية والعلما همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا
صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الي حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيا وقال ابن مسعود
انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القدح ليسوا بخياركم والعالم الذي
لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوا والجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها وفي مثله يقال ولكم الويل
مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان تكون عنايته بتحصيل
العلم النافع في الآخرة والمرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل
والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف
طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب
وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم
قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله
قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرايب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم
الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذكم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة قال فما تعلمت
مني في هذه المدة قال ثمان مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم
الا ثمان مسايل قال يا استاد لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسايل
حتى اسمعها قال حاتم نظرت الي هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الي القبر واذا
وصل الي القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي فقال احسنت يا حاتم
فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة
هي الماوي فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوي حتى استقرت على طاعة الله الثالثة
اني نظرت الي هذا الخلق فرايت كل من معه شي له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول

الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لي عنده
الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت
فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله
كريما والخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله
الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق
وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض
ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت
في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى هذا الخلق
فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل لها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تع وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي
عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته
وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت
على الله فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والفرقان
العظيم وهو يدور على هذه الثمان مسايل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم
يهتم بادراكه والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه
ويهملون امثال هذه العلوم التي لها بعث الله الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم
بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والمشرب
في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل
الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة
درجته ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم
الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك
حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة
فانا ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن
فبقي حاتم متفكرا يقول يا رب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا هي دار قوراء واذا بزة وسعة

وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا هو بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه
غلام وبيده مذبة فقعد الرازي يسال وحاتم متفكر قايم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس
فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال ما هي قال مسئلة اسئلك عنها قال سالني قال قم فاستو حتى اسالك
فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول
الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى قال الحاتم ففيما اداه جبريل عليه السلم عن الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت
في العلم من كان في داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف
سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله عز
وجل المنزلة قال الحاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون
ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول
العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى
بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه
فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا للصلاة قال نعم
وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضا قال
حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل
الذراعين اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم فيما قال غسلت ذراعك اربعا قال الحاتم يا
سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم
فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد
الرحمن انت رجل الكن عجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح
اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي لا اتجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال
يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل
لهم شيك وتكون من شيهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة
فقال يا قوم اي مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطي بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما
كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطية فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان
وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب
دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه السلم فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال
وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم ابرسول الله صلى الله عليه وسلم
ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسياتي من سيرة السلف في
البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض
فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان
من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ
في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي بيانه
وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك ابن انس رحمهما الله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك ابن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس
الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطا وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك
المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك
بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلم فكتب اليه مالك رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من
مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة
والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطا فنحن نفعل ذلك
ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني
لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلم فانظر الى انصاف
مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت
نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فيقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح
حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتنعم على التنعم
في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية

التباعد من مظان الخلط ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الي
الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها
بايدي السلاطين والمخالطة لهم لا تخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب علي
كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الي تجملهم
فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم
وذلك هو البهت الصريح والطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحلال والحرام ما
يجوز ان يوخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلي الجملة فمخالطتهم مفتاح الشرور
وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلي الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية ومن اتبع
الصيد غفل ومن اتي السلطان افتتن قال عليه السلام سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر
فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفين
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب
الامراء لا يدخل احدكم علي الامير فيصدقه بالكذب فيقول ما ليس فيه وقال النبي عليه السلام العلماء امناء الرسل
علي عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس
وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث
يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا
رايتم العالم يغشي الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الي الله من عالم يزور عاملا
وقال النبي صلي الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال
مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض
في نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتي الي مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال
انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه علي دينكم حتي جربت اذ ما
دخلت قط علي هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فاري عليها الدرك وانتم ترون ما القاه
من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان اخلص من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيا ولا
اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق
هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال
الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلي الله عليه وسلم قال ابن المبارك

عني به سعيد بن ابي وقاص قال وكان يغشى السلطان فقعد عنه فقال له بنوه يأتي هؤلا من ليس هو عند

مثلك في الصحبة ما لقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا شاركهم

فيها قالوا يا ابانا اذا تهلك هزلا قال يا بني لان اموت مومنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا

قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الي ان الدخول

على السلطان لا يسلم من النفاق البته وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمه يا سلمه لا تغش ابواب السلاطين

فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة

للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم و[...]

عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعاير الشرع الي ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل

لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء

الذين اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا اشغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد

العزيز الي الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم علي امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين

فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة

هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف طلب غيره

ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك وايوب وابن عون يتكلمون في بعض علماء

الدنيا من اهل الكوفة وكان الفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا

من اهل مكة والبصرة والشام اما لميلهم الي الدنيا او لمخالطتهم السلاطين حتى قال بعضهم لو قيل لي من

اوثق الناس لاخذت بيد القاضي وقلت هذا ومنها ان لا يكون متسرعا الي الفتوى بل يكون متوقفا

ومحترزا ما وجد الي الخلاص سبيلا فان سيل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او بنص حديث او اجماع او

قياس جلي افتى وان سيل عما يشك فيه قال لا ادري وان سيل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط

ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره عنه هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي

الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث

لا يدري لله فليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة

الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سيل عن الفتوى قال اذهب الي الامير الذي تقلد امور الناس فضعها

في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري

فان اخطاها اصيبت مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شي اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت

بعلم يقول انظروا الي هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة
اي لا يتكلمون حتي يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتدا
قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله برجل يتكلم علي الناس فقالا هذا يقول اعرفوني
وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول يريدون ان يجعلونا
جسرا يعبرون علينا الي جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال
له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتي احتجتم الي
وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون علي الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا
انصرفوا وقال عليه السلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل
عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتي نزل جبريل فساله فقال لا ادري حتي اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع
المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر يسئل عن عشر مسايل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان
ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول
ادري منهم سفين الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلي ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من
احد يسئل عن حديث او فتوي الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة يعرض علي احدهم
فيردها الي الاخر ويردها الاخر الي اخر حتي يعود الي الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الي واحد منهم
راس مشوي وهم في غاية الضر فاهداه الي اخر واهدي الاخر الي اخر وهكذا دار بينهم حتي رجع الي الاول
فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز
من تقلد الفتوي ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان
الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوي وقال بعضهم كان اسرعهم الي الفتوي
اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة اشيا قراءة القرآن
وعمارة المساجد وذكر الله تع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم
كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالي وقال تعالي لا خير في كثير من
نجويهم الاية ورأي بعض العلماء بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رايته فيما كنت عليه
من الفتوي والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدناه عاقبته وقال ابن الحصين ان احدهم
ليفتي في مسئلة لو وردت علي عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند

الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة
وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا
المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغرف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة
مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان
اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة الي السكوت اقرب منها الي الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب
سلمان الي ابي الدرداء وكان قد آخا بينهما رسول الله صلي الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي
المرضي فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان
ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سيل وكان انس اذا سيل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس
يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روي صحابي في حضور الحسن
عشرين حديثا فسيل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا
فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسالوني عن العلم
وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة
وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة يفضي الي المشاهدة
في دقايق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة
الخارجة عن الحصر والعد انما يتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله
في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الي الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف
فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر علي مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر علي المهم في التعلم ومتوفر
علي العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرايل
لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به
العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم
حتي يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة
ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب
بالنور الباطن حاكم علي علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال عليه السلم فيما يروي
عن ربه تعالي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث

فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن يخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع
عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات
القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة
ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما
رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي كرم الله وجهه في حديث
طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع
اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن شديد والعلم خير من
المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة ومحبة العالم
دين يدان به يكسبه الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه
ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء
وقال هاه ان هاهنا علما جما لو وجدت له حملة بل اجد لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب
الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك
في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب
الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا
يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا يخلو الارض من قايم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خايف
مقهور لئلا يبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة
وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء
الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره
اخرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها
ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين
الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين ومعناه اعني اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم
ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل

حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن
من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم يضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه
ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلي الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
ومن اعطي حظه منهما لم يبل ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني
لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى
بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك
لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الي ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين
هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معني قوته وضعفه فلا بد من
فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ
مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس
الي التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا
سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الي الحكم فيه
باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثاني ان تميل نفسك الي احد
الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل
تعرفه بالصلاح والتقوي انه بعينه لو مات علي هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الي انه
لا يعاقب اكثر من ميلها الي العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء
امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه
فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث ان تميل النفس الي التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال
نقيضه ولو خطر بالبال لنبت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب
هذا المقام التامل والاصغاء الي التشكيك والتجويز لاتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا
مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان
كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطا امامه نفر عن قبوله
الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا
امتنع وجود الشك وامكانه سمي يقينا عند هؤلاء ومثاله اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم
فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما

بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث
حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود
القديم علي طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما
ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان
يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثه وان كانت كلها حادثة فهي حادثه
بلا سبب اذ فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمودي الي المحال محال فيلزم في العقل التصديق
بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثه وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة
او بعضها قديمة وبعضها حادثه فان كان كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت علي الجملة قديم
وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يودي الي احداث حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول
وكل علم حصل علي هذا الوجه يسمي يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة
العقل كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك
فكل علم لا شك فيه يسمي يقينا عند هولاء وعلي هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي
الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الي اعتبار التجويز
والشك بل الي استيلايه وغلبته علي العقل حتي يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك
فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه لا يا تيه فمهما مالت النفس الي التصديق
بشيء وغلب ذلك علي القلب واستولي حتي صار هو المحكم والمتصرف في النفس بالتحريص والمنع سمي
ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم
من لا يلتفت اليه والي الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولي ذلك علي قلبه حتي استغرق
همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال
بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلي هذا الاصطلاح يوصف اليقين
بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الي تقوية اليقين بالمعنيين
جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين علي النفس حتي يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا
فهمت هذا علمت المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة
والكثرة والخفاء والجلاء فعلي الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء علي القلب ودرجات
اليقين في القوة والضعف لا يتناهي وتفاوت الناس في استعدادهم للموت بحسب تفاوت

اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر أيضاً أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا
ينكر أعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه أيضاً لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين
تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله عليه ووجود يوشع
مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً إذ مستندهما التواتر ولكن يرى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك
من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ولذلك يدرك الناظر هذا في النظريات
المعلومة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بأدلة كثيرة مع تساويهما
في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدرك
من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علماً
أي معلوماته أكثر فلذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي
اليقين في بعضه فإن قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وخفاءه وجلاءه
بمعنى الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين
فإني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء من أوله
إلى آخره هو من مجاري اليقين فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات
التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعض أمهاتها فمن ذلك التوحيد
وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الواسطة مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد
المعنيين فإن غلب على قلبه غلبة أزال منه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل
الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا
يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الأشرف وهو
ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات
والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخر القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية
هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريئاً من الغضب والحقد والحسد
وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق في قوله وما من دابة
في الأرض إلا على الله رزقها واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق إليه ومهما غلب ذلك
على قلبه كان مجملاً في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما يفوته وأثمر هذا اليقين

ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى
الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك
فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها
وكما يتجنب قليل السم وكثيره فيتجنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول
قد يوجد لعموم المومنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة
في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين
اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله مطلع عليك في كل حال ومشاهد
لهواجس ضميرك ومخفيات خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم
الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان
في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا
متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة
اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره
وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس وهذا المقام في
اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة
وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل
الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة
من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار
وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ
الان ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته
وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكان صورته دليلا على
عمله وعلمه فالجواد عينه فراره فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والمسكنة والتواضع
وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من الخشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيماء الصديقين
والعلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق
فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا

الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام
الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله
وهم عموم المومنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم
واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة والآنفة
فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
والحلم وتواضعوا لمن يعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم
علمكم بجهلكم وقيل ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه الله معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا
فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام
المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه
تعالى ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث
من طلب الرياسة بالعلم فيتقرب الى الله ببغضه فانه ممقت في السماء والارض وروي يزيد بن
ميسرة في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاث مائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف
بالحكمة فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم ترد بي شيئا من
ذلك واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق
وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وافقت رضائي
وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه
وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقته هذا احق بالمقت
من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال
فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك
قال فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم
قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاي
الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم
اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في
الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه في خطبته

ذمتي رهينة وانا بها زعيم لمن صرحت له العبران لا يهيج علي التقوي زرع قوم ولا نظما علي الهدي سنخ اصل
وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الي الله تعالي رجل قمش علما اغار في عباس الفتنة
سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما فاستكثر فما قل منه خير مما كثر حتي اذا
ارتوي من ماء آجن واكثر من غير طايل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس علي غيره وان نزلت به
احدي المهمات هيأ حشو الراي من رايه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري
اخطا ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض علي العلم بضرس
قاطع فيغنم يذر والروايه ذرو الريح الهشيم يبكي منه الدماء ويستحل بقضاه الفروج الحرام ولا ملي والله
باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء
ايام الحيوة وقال علي كرم الله وجهه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب
وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها علي المتعلم
الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به علي المعلم العقل والادب وحسن
الفهم وعلي الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن
للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتي الايمان قبل القرآن وتنزل
السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رايت
رجالا يؤتي احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الي خاتمته ولا يدري ما آمره وما زاجره
وما ينبغي ان يقف عنده ينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون
حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه
الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع
والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة علي الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالي انما يخشي
الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع
فمن قوله تعالي واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين واما حسن الخلق فمن قوله تع فبما رحمة
من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالي وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول
الله صلي الله عليه وسلم قوله تعالي فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال
ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار

الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال
عن ما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك
قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية
قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها
وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما تغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك
طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرايب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في
وضع صور تنقضي الدهور ولا يقع وان وقع ذلك فانما يقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القايمين به
كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد
عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على
التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقايق
وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوايب الزمان ثم يرد القيمة
مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان
الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة
في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات
الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا با سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك
فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وسيل حذيفة فقيل له نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك
من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسالونه عن الخير
وكنت اساله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف
الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسالونه عن
فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسال عن آفات الاعمال خصني
بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقايق
الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسالونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال
عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمايهم وكان عمر يساله عن نفسه هل تعلم به شيا من
النفاق فبراه من ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك
وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله هو داب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي

الي تقرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشي منه استغرب واستبعد وقيل هذا
من ترهات المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال شعر
الطرق شتى وطرق الحق مفردة • والسالكون طريق الحق افراد • لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم • فهم على اهل
يمشون قصاد • والناس في غفلة عما اريد بهم • فجلهم على سبل الحق رقاد • وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا
الي الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة
صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه يتنزل منزلة
شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء • وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد
ليكون فطره عند الموت ومتى يكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون
متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة
مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الي اوليك الخلق الكثير الذي لا يحصى والي هولاء
عدد يسير قل ما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب
ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد
ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة
من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صاحب الشرع
صلوات الله وسلامه عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد
انما يفعل الفعل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول عليه السلم لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه
فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم
ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير
اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا
مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا يوخذ من علمه ويترك الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في
الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله عليه وسلم قبلناه على الراس والعين وما
جاءنا عن الصحابة فنا[خ]ذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم
قراين احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقراين فسددهم ذلك الي الصواب
من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطاء واذا كان

الاعتماد علي المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد علي الكتب والتصانيف اقعد بل الكتب والتصانيف
محدثة لم يكن شي منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما حدث بعد مائة سنة وعشرين من الهجرة
وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ
وعن القران وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه
وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلي الله عليه وسلم
وخافوا اتكال الناس علي المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء
ليكون هو شغلهم وهمهم حتي اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبه القرآن خوفا من تخاذل
الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات
فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر علي مالك
تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج
في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب الموطا بالمدينة
لمالك بن انس ثم جامع سفين الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في
الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والي القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين
في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس
ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف
كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم
عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتي كانوا يعرفون بها مباينة هولاء لهم فاستمر عليهم
اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة منطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام
الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر
كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة علي الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الي ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الي الجنون
فالاولي ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور
وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق علي ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا علي التفتيش
عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة

والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة اوفي
الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على
ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الي غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم
اهل الزمان واقربهم الي الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال
علي كرم الله وجهه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل
العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلي الله عليه وسلم فان الناس راوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم
اليه ولم يسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل للجنة سواه ولذلك
قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن رأي مثل رائه ومترف يعبد
الدنيا لها يغضب ولها يرضي واياها يطلب فارفضوهما الي النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين
مترف يدعوه الي دنياه وصاحب هوي يدعوه الي هواه قد عصمه الله تعالي منهما يحن الي السلف الصالح
فيسئل عن فعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك كونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا
ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالي واحسن الهدي هدي محمد
صلي الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة
ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي
خطبة النبي صلي الله عليه وسلم طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير
معصية وخالط اهل الفقه والحكمة وجانب اهل الذل والغضب طوبي لمن ذل في نفسه وحسنت
خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبي لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك
الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الي بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر
الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون
خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان وافق الجماهير فيما هم
عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان
قد مضي وان منكركم معروف زمان قد اتي وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف
به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا
تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها
ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل

ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان
ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقرآن ومن
ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب
مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم
في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان احمد يقول
تركوا العلم فاقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس
فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم
يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهية والاستحباب فاما الحرام
فكان بحبنه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا
ولكن سالوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من
الخيران يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من
الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط
فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام
اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما يعلم ان
الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت
وراك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقاء
على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر
من غش امتي فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يبتدع
بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول
الله لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال
من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما
قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه خفاء وما سكت عنه السلف
فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال
صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي
ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين

لبس عمله زرا حسنا نكلما احدث بعد الصحابة ماجاوز قدرا لضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو حكي عن ابليس
لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هولاء ما
نصيب منهم شيا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي
بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب
من هولاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل
سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي
بعد هولاء قوم تقر اعينكم بهم تعلبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوايهم كيف شيتم ان استغفروا
لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سياتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء
وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء
وقادهم اين شاء فان قلت من اين عرف قايل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم
ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود
عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة
الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد تصورك ففيه
هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار
مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية
وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون
النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء وقال سهل
التستري رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة
وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض
فيما يحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امن فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء
لان العامي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به
من العلوم التي هي وسايله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا
عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لمن

لدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه انشاء الله تعالي ولذلك كتب يوسف
ابن اسباط الي حذيفه المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالي معه الا كان آثما وكانت
مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع
غيبه او عن سكوت علي منكر واحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان
يحصل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الي الشر فيكون هو معينا له وردا ومظهيرا ومهيا لاسبابه
كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك
لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة علي قطع الطريق فهذه اثنا عشرة
علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما
السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان
تكون الثالث فتلبس علي نفسك بان تلعب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين سيرة العلماء الراسخين
في الدين وتلحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك
الجمهور فنسال الله ان يجعلنا ممن لا يغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج
الي تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم
يجري منه مجري الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والروية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة
السعادة في الدنيا والآخرة وكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تميزها تحتشم العقل حتي ان
اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راي صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره
باستيلايه عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلم الشيخ في قومه كالنبي في امته
وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك تري
الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين
قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة
هابوه وتراي لهم ما كان يتلالا علي ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه
بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه
وقد سماه الله تعالي نورا في قوله الله نور السموات والارض مثل نوره وسمي العلم المستفاد منه روحا
ووحيا فقال او حينا اليك روحا من امرنا وقال تعالي او من كان ميتا فاحيينا. وحيث ذكر النور

والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم
عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة
وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا
نطوقا والقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل
ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قايما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان
هذا من علم المكاشفه ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى
قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل
فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على
قدر عقولهم وعن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى
ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم ولا يتم للرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع
ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شي دعامة ودعامة المومن
عقله فبقدر عقله يكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البرا قال كثرت
المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شي مطية واحسنهم دلالة
ومعرفة بالحجة افضلهم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس
يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا
فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل
وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيمة اقتسموا
المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البرا بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملايكة

واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجل المومنين من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم
عقلا وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شي تفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل
قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر
ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي آلة وعدة وان آلة المومن
وعدته العقل ولكل شي مطية ومطية المرء العقل ولكل شي دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم
غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين
العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل
ولكل امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر
فسطاط وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المومنين الى الله من نصب نفسه
في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم
اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا **بيان حقيقة
العقل واقسامه** اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون
هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان
العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا
المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي
به يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات
الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا
بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر
هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار
وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات
الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين
الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس
يخلقها في الجماد والبهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في
الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه

فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا لغريزة اختصت
به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمراة
التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين
تفارق الجبهة في هيات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى
الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى
البصر فهكذا ينبغي ان يفهم هذه الغريزة الثاني هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز
الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين
وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة
المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد
ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم والثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال
فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل
فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع
الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان
اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص
الانسان التي بها يتميز عن ساير الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه
والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه
العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع
والاول هو المراد بقوله عليه السلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه السلم
اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدردا
رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله
وادّ فرايض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك
القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل فقالوا فمن افضل
الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته

فقال عليه السلم وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان
في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته
ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق علي العلوم من حيث
انها ثمرتها كما يعرف الشي بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون
كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة
والاسم يطلق علي جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل
وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الي الوجود اذا جرى سبب يخرجها الي الوجود
حتي كان هذه العلوم ليست شيئا واردا عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله
الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شي جديد وكذلك الدهن في
اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالي واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة
حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالي ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان
اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر علي
الايمان بالله بل علي معرفة الاشياء علي ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الي من اعرض فنسي وهم الكفار والي من اجال
خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالي لعلهم يتذكرون وليتذكر
اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود
في القلب لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق
ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة علي من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك
تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات
ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتي ينظر اليها بعين
الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمي الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة
في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الي مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل
في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واتم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمي الفارس

اضر من عمى العين ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وكذلك نرى
ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
وقال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التى كشفت للانبياء
بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به
من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما يطلق اسم العقل عليه **بيان**
تفاوت الناس فى العقل قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام
من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام
الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف
ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص فى مكانين وكون الشئ الواحد قديما حادثا وكذا
سائر النظائر وكل من يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق
اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت
احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك
بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله
قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف
لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل
على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد
فيكون الخوف جندا للعقل وعدة فى قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصى من
العامى لقوة علمه بضرر المعاصى واعنى به العالم الحقيقى دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان
كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا
الضرب من العلم عقلا فانه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعنا التسمية اليه وقد
يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث
وهو علوم التجارب فيتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون
سببه اما تفاوتا فى الغريزة واما تفاوتا فى الممارسة اما الاول وهو الاصل اعنى الغريزة فالتفاوت فيه
لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند سن التمييز ثم لا
يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى

خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور
البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين الحاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد
حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا شيئا على التدريج وكذا جميع
القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن
ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد
السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد
لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من
نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم
اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا
صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش
ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف
الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر
عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من
علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف
الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم
شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا او وليا ولا كل من عرف
الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا
يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه
الماء ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في القنوات والى ما لا ينفع فيه
الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف النفوس
في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل
خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل
لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من
اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا

ونهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه
ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة
الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد
تداول الالسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله
عز وجل ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان
كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع
ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل
ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التى تميز بها الآدمي عن البهايم حتى ادرك بها
حقائق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا
لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم بالصواب

هذا آخر كتاب العلم والحمد لله حق حمده
وصلواته على سيدنا محمد وآله
الطاهرين

تم

كتاب قواعد العقايد وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احدى مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق

الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى
المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات
التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى عليه السلام واقتفاء صحبه الاكرمين
المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها
الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له
منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع
له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء تصرم الاماد
وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن التنزيه وانه ليس بجسم
مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه
ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس
كمثله شي ولا هو مثل شي وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه
السموات وانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن
المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف
قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا
الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك
قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد فهو على كل شي شهيد اذ لا تماثل
قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شي ولا يحل فيه شي تعالى عن
ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو
الان على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس
عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن

الزوال بل في صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات
بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم القدرة وانه حي
قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت
والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون
في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم
واجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى
معلوماته العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في
الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات
الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته
بالحلول والانتقال الارادة وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات ولا يجري في الملك والملكوت قليل او
كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان
الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة
خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين
على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في
جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في
اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا
تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان السمع والبصر
وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان
دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع من غير اصمخة واذان
كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه
ذاته ذات الخلق الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا
يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق
شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن

مقروا بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله لا يقبل الانفصال
والفراق بالانتقال الي القلوب والاوراق وان موسي سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يري الابرار ذات
الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة
والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات الانفعال وانه لا موجود سواه الا هو
حادث بفعله وفايض من عدله علي احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في
اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من
الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتي يكون تصرفه فيه ظلما وكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك
وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم
اختراعا وانشاه بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق
بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه
وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح
لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا علي ان يصب علي عباده
انواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك كان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما
وانه يثيب عباده علي الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه
فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب علي الخلق بايجابه علي
لسان انبيايه لا بمجرد العقل لكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه
ووعده ووعيده فوجب علي الخلق تصديقهم فيما جاوا به معني الكلمة الثانية وهي شهادة
الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلي الله عليه وسلم برسالته الي كافة العرب والعجم والجن
والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قد قرره وفضله علي ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهي قولك محمد رسول
الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتي يوقن بما
اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان العبد في
قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن
نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن بعذاب القبر وانه حق وحكمة
وعدل علي الجسم والروح علي ما يشا ويومن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه

مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام
العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله
عز وجل بفضل الله وتطرح صحايف السيات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط
حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوى
بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين بحكم الله فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد
عليه السلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها
ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السما فيه ميزابان
يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى
من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من يشا من الانبيا عن تبليغ الرسالة ومن شا من الكفار
عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمون عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين
عن النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا
ثم ساير المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن شفيع اخرج بفضل الله فلا
يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة
رضي الله عنهم وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي
الله عنهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت
به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق
رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدرج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد

ما ذكرناه
من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه
في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل
في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة
وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد
الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتدا على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي
اليه فلابد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته
ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل

بوظايف العبادات فلا يزال الاعتقاد يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من
شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة
الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول
التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويتقوى
ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام
غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل
تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان يكثر اجزاؤها وربما يفتتها ويفسدها وهو
الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى
من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ
لا يحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل
في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد
تقليدا ولا فرق في التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شي والاستدلال
بالنظر شي آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح
له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم
بظاهر هذه العقايد واما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون
من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن
الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة
بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب
ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب
درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين
وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد
واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسئلة فان قلت
فتعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او مباح او مندوب فاعلم ان الناس في هذا غلوا واسرافا
في اطراف فمن قايل انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه

بالكلام ومن قايل انه واجب وفرض اما علي الكفاية او علي الاعيان وانه افضل الاعمال واعلي القربات فانه تحقيق
لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والي التحريم ثم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع
اهل الحديث من السلف قال ابو عبد الاعلي سمعت الشافعي يقول يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي
المعتزلة لان يلقي الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشي من الكلام ولقد
سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام علي شي ما ظننته
قط ولان يبتلي العبد بكل ما نهي الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكي الكرابيسي
ان الشافعي سيل عن شي من الكلام فغضب وقال سل عن هذا يعني حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله
ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتي تتوب
مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهوا لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا
اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمي او غير المسمي فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال
الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشاير والقبايل ويقال
هذا جزا من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا
تكاد تري احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتي هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه
بسبب تصنيفه كتابا في الرد علي المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل
الناس بتصنيفك علي مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الي الراي والبحث وقال
احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني
ان اقوال المجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله
انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام علي اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال
الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف علي هذا
ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه فقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح
بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلي الله عليه وسلم هلك المتنطعون
هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان
من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني علي اربابه فقد علمهم
الاستنجاء وندبهم الي حفظ الفرايض واثني عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلي
هذا استمر الصحابة فالزيادة علي الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة

اما الفرقة الاخرى احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات
لغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل
لتفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية
وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارات للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة
جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث
العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور
هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما
ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه
لكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا
وقد قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا وقال هل عندكم من سلطان من حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال الم
تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه
في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال تعالى يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله او لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن
من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل يحاجون
المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة
وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي رضي الله عنه
اذ بعث ابن عباس الى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم
فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون
منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان
ويروى ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب رجلا من القدرية وناظر
عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت انا في الجنة
فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها يغفر لنا

لعلنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مومنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدق
والله انها مني زلة فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق
التصنيف والتدريس والجاده صناعة ويقال اما قلة خوضهم فانه كان لقلة الحاجة اذ لم يكن البدعة
تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال
الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامه وما كانوا يقدرون قدر المحاجة بميزان ولا بمكيال بعد الشروع فيها
واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز
تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا يتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا
او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او
لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا نعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل
القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق
فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان
الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار
والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار
واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة لا شاعة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره
كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار
وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر
عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين فكان اطلاق
التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال
فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار
منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت
الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك
مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في اعتقاد
الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على
الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان
يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشو في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع

عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين
وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطا
فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه فهذا هو الداء العظيم الذي
استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد
يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليها وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا
المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث
او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة
الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع
الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف
وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة
الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات
المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة
الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما
فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام
من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا
وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه
الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات
يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم
الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح
واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف
المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير
فان ذلك انفع له من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها
المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه ايضا يقدرون
على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف في الوعظ والادلة
القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل فانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عاميا

اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس
بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا
دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها
على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر
الحاجة فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر
الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات البدعة ان وقعت
اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان ذكا وتنبه بذكائه
لموضع سؤال او ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى
القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن
النظر في قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه
ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فيتلطف به الطبيب بقدر امكانه
وينتظر قضاء الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة
الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه
فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقايد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان
وعن الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو
منع عن جميع ما لا يرى او يثبت بكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات
المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة وذلك
ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب
والتقرير غموضا ولو قال قايل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها فايدة تشحيذ الخواطر
والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو
من الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بساير علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا
القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد والشخص الذي ينتفع
به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن فقد ثارت البدع
وعم البلوى وارهقت الحاجة فلابد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام
بحراسة الاموال وساير الحقوق بالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه

والبحث عنه لا يدوم ولو ترك لا يندرس وليس في مجرى الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي
ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة ما كانت ماسة
اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قايم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت
في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه علي العموم كتدريس الفقه
والتفسير فان هذا مثل الدوا والفقه مثل الغذا وضرر الغذا لا يحذر وضرر الدوا محذور لما
ذكرنا فيه من انواع الضرر والقايم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال
احديها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا
عرضت والثانية الذكا والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه
فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجي فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة
والتقوي ولا يكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادني شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك
يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص علي ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من
اعبا التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات
اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة
في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس
واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة يعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة
قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي
نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره
كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد يختلف الاعصار في
كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم بذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم
طرايق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف الحقايق ومعرفة الاشيا علي ما هي عليها
ودرك الاسرار الذي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات
والاقبال بالكلية علي الله وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل
يفيض علي من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب
وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسيلة فان قلت هذا الكلام مشير الي ان هذه
العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث

والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوي المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع
اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه
العلوم الي خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوائل الصبي شيئا وجمدوا
عليه فلم يكن لهم ترق الي شأو العلي ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع وقال
عليه السلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الي صدره ان ههنا
علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه السلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس علي قدر عقولهم
وقال ما حدث احد قوما حديثا لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون وقال عليه السلم ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العالمون
بالله الحديث الي آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال عليه السلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم فلا شك
في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم
ابو بكر بكثرة صيام ولا صلوة ولكن لسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير
خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره علي غيره وقال سهل التستري للعالم ثلاثة علوم
علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله عز وجل
لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين من افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة
وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك
بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من لا
يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة مسئلة فان قلت فهذه الآيات والاخبار
يتطرق اليها تأويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر
ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر
والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع
سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الي علوم المكاشفات
ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد
تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان نتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان

ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل
باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن
اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة
تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص
المقربون بدركها ولا يشاركهم الا الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام
الاول ان يكون الشي في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا
يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله
عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن
ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله عليه السلم فان من لا يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف
نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاوليا والعلما وان لم يكونوا انبيا ولكنهم
يتادبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل هو في صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام
الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما
حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة
فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيا لم يفهموه
بل لذة الجماع اذا ذكر للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما
على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة
فلا يدرك الانسان نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر لنفسه في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة
اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوت في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله
ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف
فيكون معظم عوله على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال عليه السلم
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف
بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه
الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط
ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله
ولعل الاشارة الى مثله في قوله عليه السلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه

سر الروح كان مكشوفا لرسول الله صلعم

صفات الله تعالى افهام الجماهير قاصرة عن دركها

كل ما ادركه بصر القسم الثاني من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في
نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل
العلم عن افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق دون البعض
كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا
والمعاصي والشرور بقضاء الله وارادته ومشيته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم
دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل
ذلك ولذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ يقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال
قائل ان القيمة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد
وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها
او لعلها كانت قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف ولاعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى
لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم القسم الثالث ان يكون الشي بحيث لو ذكر تصريحا لفهم ولم يكن
فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان
يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم
وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان
لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس لدرك السر بذلك ومن
هذا قول الشاعر رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الاعزل لا زال ينسج ذلك خرقة مدبر ويخيط
صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع
يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي يتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي
من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان
روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير فيضاد معنى المسجد به مضادة
النار لاتصال اجزاء الجلد ولذلك قوله عليه السلام اما يخشى من يرفع راسه قبل الامام ان يحول راسه
راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن
بحقيقته للونه وشكله بل لخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار
في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع
بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي

او شرعي اما العقلي بان يكون حمله علي الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فاذا افتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فنعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر
الاصبع وروحها الخفي وكني بالاصبع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل
كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن
ان كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتي يمتثل الامر وان كان
بعد الوجود فهو مستغني عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار
عدل اليه واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه علي الظاهر ممكنا ولكن يروي انه اريد به غير الظاهر
كما ورد في تفسير قوله تعالي انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وان معني الماء هو القرآن
ومعني الاودية هو القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل
للكفر فانه وان ظهر وطفا علي راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم
تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية
واجراؤه علي الظاهر غير محال فيجب اجراؤه علي الظاهر القسم الرابع ان يدرك الانسان الشيء
جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر
والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة
او علي البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير
ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق
والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في
الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل
وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال
وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الي ما قبل ذلك ففرق بين
علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن
يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال
عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف علي الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه
وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي
ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله عز وجل فقال لها وللارض ائتيا طوعا

او كرها قالتا اتينا طايعين فالبليد يفتقر في فهمه الي ان يقدر لهما حيوة وعقلا وفهما للخطاب
وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طايعين والبصير يعلم ان
ذلك لسان الحال وانه انبا عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة الي التسخير ومن هذا قوله وان من شي الا
يسبح بحمده فان البليد يفتقر فيه الي ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتي يقول
سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا
بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما قال وفي كل شي له شاهد دليل علي انه واحد وفي كل شي له آية تدل علي انه واحد
وفي نسخة وكما يقال هذه الصنيعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعني انها
يقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شي الا وهو محتاج في نفسه الي موجد يوجده ويبقيه
ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوي البصاير دون
الجامدين علي الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون
والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات شتي علي تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل
واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت
ارباب الظواهر وارباب البصاير في علمه ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب
المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهي الي تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتي حملوا
قوله تعالي تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شي وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار
واهل الجنة في قولهم لنا افيضوا علينا من الماء زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب
منهم احمد بن حنبل حتي منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان كل ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله
تعالي في كل لحظة بعدد كل مكون حتي سمعت بعض اصحابه يقول انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله
صلي الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني
لاجد نفس الرحمان من قبل اليمن ومال الي حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان
الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية
لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد
لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتي قال
مالك لما سيل عن الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وذهبت

طائفة الي الاقتصاد ففتحوا باب التاويل كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالآخرة علي ظواهرها ومنعوا
من التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتي اولوا من صفات الله تعالي الروية واولوا كونه سميعا
بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام
الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها علي الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ
المحسوسة وبالنار واشتمالها علي جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الي هذا
الحد زاد الفلاسفة عليهم فاولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه الي الالام عقلية روحانية ولذات عقلية
وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس فانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك
بالحس وهولاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع
عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار الامور علي ما هي عليها
نظروا الي السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ
معرفة هذه الامور من السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه
الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر
ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة ما اوردناه واذ راينا ان نقتصر بكافة العوام علي ترجمة
العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولي الا اذا كان خوف تشويش لشيوع
البدعة فيرقي في الدرجة الثانية الي عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا
الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي هذه
مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب

الفصل الثالث من كتاب قواعد العقايد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بقواعد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الي دعايم الدين وجنبهم زيغ الزايغين
وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم
اقتفاء آثار السلف الصالحين حتي اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين
وعقايدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان
النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طايل ولا محصول اذا لم تتحقق الاحاطة
بما يدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمة الشهادة علي ايجازها تتضمن اثبات
ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بني الايمان علي هذه

الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول الركن الاول في معرفة ذات الله
ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه
ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد الركن الثاني في صفاته ويشتمل
على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث
وانه قديم الكلام والعلم والارادة الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول
وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف
ما لا يطاق وله ايلام البري ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جايز وان
نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات
وهي اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة
فالركن الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول
الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واولى ما استضاء من الانوار ويسلك فيه من طريق الاعتبار ما ارشد الله
القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا
وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله
من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى
مسكة العقل اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجايب خلق الله في الارض والسموات
وبدايع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه
ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى
افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما
امروا ان يقولوا لنا الها وللعالم الها فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم
ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا

فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان وشواهد القرآن
ما اغنى عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول
ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذن لا يستغني في حدوثه عن سبب
اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه
وتاخره واختصاصه بوقته دون ما بعده وما قبله يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا ان العالم حادث
فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وفي هذا البرهان ثلثة دعاوي الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة
والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا
وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما دون
البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاضي بجواز حركته
وما من متحرك الا والعقل قاضي بجواز سكونه فالطاري منها حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه
لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس
والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث
لا اول لها وما لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا انتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء
ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا تخلو اعدادها من ان تكون شفعا او وترا
او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك
جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون
شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف تعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر
يصير شفعا بواحد فكيف تعوزها واحد مع انه لا نهاية لها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث
فهو اذن حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني**
العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي
وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل
ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي
سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابديا اي
ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم

لكان لايخلوا اما ان ينعدم بنفسه او بعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم بنفسه او بعدم يضاده ولو جاز
ان ينعدم شئ يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شئ يتصور انعدامه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب
فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود
معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم
حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته القديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث
حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر
متحيز بل تعالى وتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا
فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لايخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر
متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا من حيث اللفظ لا من
حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من
الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل
خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد
ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشئ آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر
على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف عن الجوهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم
الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قايم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل
جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف تكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده
وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي وهذه الاوصاف تستحيل
على الاعراض بل لايعقل الا الموجود قايم بنفسه مستقل بذاته وقد يحصل من هذه الاصول انه موجود
قايم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذن لا اشبه شيئا ولا يشبهه
شيئا بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شئ وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر المصور مقدره ومصوره والاجسام
والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع**
العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين
او شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين
احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم
السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التى تدب منتكسة تحت السقف ينقلب جهة الفوق في حقها

تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق الانسان اليدين واحدهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين
للاقوى والشمال لما يقابله وسمى الجهة التي يلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما
ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة
بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات
وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن ابان خلق
العالم تحته وتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل
فكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر
اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا وعرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين
المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى فلانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذي
الجسم فاما ان يكون مثله او اصغر او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع
الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من
الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء
الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستوى على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى عز وجل بالاستواء
وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء
الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء
كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق واضطر اهل الحق الى هذا التاويل
كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم
وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلم
الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو
ترك على الاستقرار والتمكن للزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال
وما يؤدي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة
والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة لقوله تعالى وجوه
يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار
ولقوله تعالى في خطاب موسى لن تراني فليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله
موسى عليه السلام او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة

والاغنيا، اولى من الجهل بالانبيا، واما وجه اجرآه الرؤية على الظاهر انه غير مؤدي الى المحال فان الرؤية
نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية وليس في
جهة وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير
كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة الاصل العاشر العلم بان الله تعالى واحد لا شريك
له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساميه ويساويه ولا ضد له ينازعه
ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا والثاني
ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على
مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا الركن الثاني
العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بان صانع العالم
قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن
رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت
لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل
الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في الارض والسموات صادق في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع
المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله عز وجل
هو المنتهى في الهداية والتعريف الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت
بالضرورة حيوته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حيوة الحيوانات عند
ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات
الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته
فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا
ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة
فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى
يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة
لانه سبق العلم بوجوده الاصل الرابع العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير

وخفايا الوهم والتفكر ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف
لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف
واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته وكيف تستقيم حجة
ابرهيم عليه السلم على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا وغباوة فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك
حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا
حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قايم بذاته
ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس
وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة
من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قايلهم ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا
ومعناه انه دليل على ما بطن من خير وشر ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن
ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة
عما ليس قبله شي وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات
اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا
كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا
جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان
يكون له علم واحد وهو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه العبارات
وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة في القلب
وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان يحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة
والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام
فيها اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبه اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبه اسمها في الورق ولاحترق **الاصل**
السابع ان كلامه المسموع القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات
بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان محل الحوادث
لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير

وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير ويتفرع على هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما
الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده
حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات
الله ودام وجوده الى وقت معرفته ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله
وصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل
الثامن** ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث
له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم
تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي
ان يفهم قدم علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في
اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته
لم يكن هو مريدا بها كما لا يكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيف ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى
وكذا الارادة الاخرى يفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان
يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله عز وجل عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم
بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا علم كقوله غني
بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما
لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل ولذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم
ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم
فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات **الركن الثالث
العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول** العلم بان كل حادث
في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم
فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم
وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
امر العباد بالتحرز في اقوالهم وافعالهم واسرارهم واضمارهم وضمايرهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم
بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد
والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها

اوكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات
ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما
يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات

الاصل الثاني ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد
على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف
للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون
جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعشة الضرورية اوكيف يكون خلقا للعبد
وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا ابطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد
في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله عز وجل اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها
بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت
متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع يتعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان
تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها الاصل الثالث ان فعل العبد وان كان كسبا
للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله عز وجل فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا
لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر
والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد
لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل عليه
من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس
جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرايم ان كان
الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو لله فالجاري على وفق
ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي
الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب
لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتم له لاستنكف من رعايته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة
على الخلق وكل ذلك جاري عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب
الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان

قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان
عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان واراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه
بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن
امر لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال

الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق
والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة يجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب
والامر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل
الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان
ان يشرب الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه
يودى الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه
للضرار وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا
فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب
في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا
ثم يهددهم بخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب

الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال
سؤال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل
لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه
لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده

الاصل السادس ان لله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم
من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه
في ملكه ظلما والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى
يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهايم ايلام لها وما صب عليها من انواع
العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل فان الله يحشرها ويجازيها على قدر ما
قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله فنقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة
عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه
واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذ خرج

ن هذه المعاني المذكورة للواجب   انه يفعل بعباده ما يشا فلا يجب عليه رعاية الاصلح
بعباده لما ذكرنا من انه لا يجب عليه شي بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسلون
وليت شعري ما جواب المعتزلة في قوله ان رعاية الاصلح واجب عليه عن مسيلة يعرضها عليهم وهو ان
يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله
علي الصبي لانه تعب بالايمان والطاعة بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت
منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبي فكان يجب ان تد
يموني حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضيل عليه بتطويل العمر دوني فلم فضلته
الله لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله
عند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا
انا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور
الالهية تتعالي بحكم الجلال عن ان يوزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد
ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبح ما لا يوافق الغرض حتى قد
يكون الشي قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص
اوليا وه ويستحسنه اعداوه فان اريد القبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور
منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير
لم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي شهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار
ثم الحكيم معناه العالم بحقايق الاشيا والقادر علي احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين
يجب رعاية الاصلح وانما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثنا وفي الآخرة
ثوابا او تدفع عن نفسه به مكروها بحمه ورافه وكل ذلك على الله محال الاصل الثامن ان معرفة
الله وطاعته واجب بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا
يخلوا اما ان يوجبها لغير فايدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة وغرض
وذلك لا يخلوا اما ان يرجع الي المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاعراض والفوايد بل الكفر والايمان
والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الي غرض العبد وهو محال لانه لا غرض
له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المال الا الثواب ومن اين يعلم ان الله
عز وجل يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليها مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له

الي احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف به تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق
والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر
فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان
العقل ليس يوجب علي شيئا والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر الابعد معرفة ادي الي افحام الرسل
قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن هذا المكان
قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي
ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم
تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي في الالتفات الي معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت
واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع
الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث
علي الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع
فان العقل لا يهدي الي التهدف للضرر في الضربة بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما
في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب علي ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما نيط
بتركه ضرر في الآخرة الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة
في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الي الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الي
الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الي الانبياء كحاجتهم الي الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة
ويعرف صدق النبي بالمعجزة الاصل العاشر ان الله عز وجل قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما
للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته
الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه
ونهبه وقتله ولم يقدروا علي معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه
هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه
في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون
وكقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة علي صدق الرسل
ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي عليه السلام نزل منزلة قوله صدقت

وذلك مثل القايم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا
فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك
نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع السمعيات وتصديقه النبي عليه السلم فيما اخبر عنه**
ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول الحشر والنشر** وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب
لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله سبحانه وتعالى كابتداء الانشاء قال الله
عز وجل من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال
تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثاني فهو ممكن كالابتداء الاول **الاصل
الثاني في سوال منكر ونكير** وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة
الحيوة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما نشاهده من سكون
اجزاء الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من الالام واللذات
ما يحس باثره عند التنبه وقد كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل عليه السلم ويشاهده
ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه فلا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والروية لم يدركوه
الركن الخامس عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقد اشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن السلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق
به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء
مخصوصة يقدر الله عز وجل على اعادة ادراك اليها **الاصل الرابع الميزان** قال الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تع يحدث في صحايف
الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلوما للعباد حتى يظهر لهم العدل
في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس الصراط** وهو جسر ممدود على
متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون
وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على
الصراط **الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان** قال الله عز وجل وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراوه
على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون

[الاص]ل السابع ان الامام الحق بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم
ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم علي امام اصلا اذ لو كان لكان اولي بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامرا
علي الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما
الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص علي غيره فهو نسبة الصحابة كلهم الي مخالفة رسول الله عليه السلم وخرق
الاجماع وذلك مما لم يستجري علي اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثنا عليهم
كما اثني الله عز وجل ورسوله عليهم وما جري بين معوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا علي الاجتهاد لا منازعة
من معوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يودي الي
اضطراب امر الامامة في بدايتها فراي التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغرا
بالايمة ويعرض الدما للسفك وقد قال افضل العلما كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد
ولم يذهب الي تخطية علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة علي حسب
ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلعم
وقد ورد في الثنا علي جميعهم اخبار وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي
والتنزيل بقراين الاحوال المشيرة الي دقايق التفصيل فلو لا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا
ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف
خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله عليه السلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من
الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغي يجب رده الي
الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن تصدي للامامة وكان في صرفه اثارة
فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر
يزيد علي ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزيد المصلحة فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها
كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضيه وذلك محال ونحن نقضي
بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه
الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا
لرهط البدعة والله تعالي يسددنا بتوفيقه ويهدينا الي الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وقد فرغ من تصنيفه
في المسجد الاقصي محييا لالتماس اهله وراجيا ان ينالهم بركته وبركة دعا سكانه وان يختم الله امله ويختم
بالسعادة اجله انه الكريم المنان وسلم تسليما كثيرا **الفصل الرابع من قواعد العقايد**

في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان
ووجه استثناء السلف فيه وفيه مسايل ثلاث مسئلة اختلفوا في ان الاسلام هو
الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد
وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي
في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل
له فنقول في هذا ثلث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع
وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث
الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي
بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد
والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح
فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد
بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام
فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديق البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان
الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل
التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقال عليه السلام بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف
فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان
ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام
لما ساله عن الايمان فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت والحساب
وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل
وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت
فلانا ولم تعطه وهو مومن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله مسلم
يحتمل ان يكون المراد به الاستسلام الظاهر ويحتمل انه ليس من خصوص المومنين ولا افاضلهم
وانما خفي مقامه عليك فلذلك تلحقه بهم في المقامات وروي ايضا انه سئل عليه السلام فقيل له

اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل علي الاختلاف والتداخل
وهو افضل الاستعمالات للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما
باللسان واما بالجوارح وافضلها التي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما علي سبيل
الاختلاف الاختلاف وعلي سبيل التداخل وعلي سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة
اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة
عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس
من شرط حصول الاسم عموم المعني لكل محل يمكن ان يوجد المعني فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا
ان لم يستغرق اللمس جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام علي التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق
للسان وعلي هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما
علي الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين واما التداخل فوافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام
عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب
وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلي هذا خرج
قوله الايمان في جواب قول السايل اي الاسلام افضل انه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه
واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل
ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو
جايز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر
مع ثمرة علي سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا
ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث الثالث عن الحكم الشرعي
وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا
الحكم علي ماذي يترتب وعبروا عنه بالايمان ماذي فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد
بالقلب وشهادة باللسان ومن قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول
من جميع بين هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية ان يوجد
اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير
فعند هذا قالت المعتزلة خرج هذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو علي منزلة بين منزلتين

وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره **الدرجة الثالثة** ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان
دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعي الاجماع
فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان هذا يدل علي
ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعي الاجماع في هذا
وهو مع ذلك ينقل قوله عليه السلم لا يكفر احدا الا بجحوده بما اقر به وينكر علي المعتزلة قولهم بالتخليد في النار
بسبب الكباير والقايل بهذا قايل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه
ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد ان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول
لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زني ثم مات فهل يخلد في النار فان قال
نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم علي شي من الاعمال
الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها
يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد التصديق
بالقلب قبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مومنا بينه وبين الله
فهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول بتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال عليه السلام
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم
يشترط في حديث جبرئيل للايمان الا التصديق بالله وملايكته واليوم الآخر كما سبق **الدرجة الخامسة**
ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبهما ولكنه لم ينطق بهما
فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مومن غير مخلد في النار
والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه
قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ
ووضع اللسان ان الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن
الفعل الواجب وقد قال قايلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد
وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طايفة من المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار
اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم **الدرجة السادسة** ان يقول

بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا شك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد
في النار ولا يشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالايمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا
ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله
وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق
بالقلب حالة الموت والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة
النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال
يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والاظهر
والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت
من المنافقين وعمر كان يراعي ذلك منه ولا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان
في العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم
الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى
على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من
حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في
العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبههم عمومات القرآن اما
المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا
رهقا ولقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ولقوله تعالى
كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله كلما القي عام
فينبغي ان يكون كل من القي مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات
ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله ان الله
يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم فيه فانه حيث ذكر الايمان في هذه
الآيات اريد الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول
والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت

وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولابد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانب
لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
كالصريح في ان ذلك لابد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصليها الا الاشقى الذي
كذب وتولى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي فيها فوج اي
فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الاية وقع للاشعري ولطايفة من المتكلمين انكار
صيغ العمومات وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم
قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له
نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها فهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له المشية
في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمنا
متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل
دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وعقل وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل
من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليد من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم
الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة وان كانت لا تبطل
بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات
كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة
ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال
للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة
فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق
هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول
فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد
عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه
بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا

تصرح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود تختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قايم في ان
التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغب من تشغب
وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق
القلبي على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو الايمان العوام بل الخلق كلهم الا الخواص
وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة يشتد ويقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا
ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخيل
ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذى النصاري والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله
عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم
وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار
ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال زادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه السلم
فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من
راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادرك
التفاوت في السكون الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله
بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من
باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره
احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح ثم
يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق
الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك
عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء
واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر
وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما
ثم ارتباطهما عبر عنه وقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال وارتباط
فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان يكف عنها بالتكلف فهذا وجه
زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء

فإذا عمل العبد الصالحات نمى فازداد حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات
نمى وازداد حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم ثم تلا كلا بل ران على قلوبهم الآية الإطلاق
الثاني أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الإيمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن
حين يزني وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان
الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه مؤثر فيه الإطلاق الثالث أن يراد به التصديق
اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني
أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من
واحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات
الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات
علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه
حق وكيف لا وفي الأخبار أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفي بعض المواضع في خبر آخر
مثقال دينار فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت مسئلة فإن قلت
فما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون
عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن
قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا
عند الله كما أن من كان طويلا أو سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو
سميعا أو بصيرا ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك
قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن يقول آمنا وبين أن يقول أنا مؤمن
وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له لم تستثني يا أبا سعيد في الإيمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول
الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني
وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم بن أدهم إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله
إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت فقال أرجو إ
إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه
الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى شك لا في أصل الإيمان
ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك الوجه الأول الذي لا يستند إلى الشك الاحتراز من

الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى ولا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون
على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به
تزكية مطلقا وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر
فيقول نعم ان شاء الله لانه في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف
لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن
الاستثناء. الوجه الثاني التأدب بذكر الله عز وجل في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله تعالى فقد
ادب الله سبحانه وتعالى نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك
فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاء ولكن المقصود
تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل
المقابر السلم عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب
ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل
لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول
ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى
التأدب بذكر الله كيف ما كان الامر. الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله
اذ قال الله عز وجل لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال
الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما
من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري
وجودها على الكمال اما العمل قال تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط
عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات
عند الله وقال عليه السلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة
الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك
الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري

القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة
يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها
وفي لفظ آخر غلب عليه ذهب به وقال عليه السلام اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي
من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير
بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من
النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق مضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من
يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك
المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو وغيره لو نبت للمنافقين اذناب لما قدرنا ان نطأ على الارض
وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة
وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف
النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان
من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان
اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة
ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمس مائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك
اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا
يا رسول الله هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم ارى في وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل
حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم
انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم
فقيل له اتخاف يا رسول الله وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد
قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة
السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار
فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه

نقل ص

سفعة ما ارتفع من الارض صح

سفعة من السلطان ... كانه اخذ بناصيته صح

سفعة علامة من السواد ... سفع الذي اصاب وجهه ... السواد

رضي الله عنه

الاخبار والآثار يعرفك خطر الامر بسبب دقايق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر يسال الحذيفه
عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين قال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامرا شيا فاردت ان انكر فخفت ان يامر
بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق وهذا
النفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق
بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من
رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فكذلك حسن الاستثنا فيه واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانيه والامن من
مكر الله والعجب وامور آخر لا يخلو عنها الا الصديقون الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة
فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر
ولو سيل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة
على التمام الى غروب شمس النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة للايمان ووصفه
بالصحة قبل آخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكا الخايفين لاجل انها
ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا يظهر الا بظهور المقضي ولا يطلع عليه احد من البشر فخوف الخاتمة
كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى
ان الامور بخواتيمها والعاقبة مستورة ولا يدري احدكم بم يختم وقيل في قوله وجاءت سكرة الموت بالحق اي
بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدردا يحلف بالله ما
احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبة دعوى
الولاية والكرامة بالافترا وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت
الموت عند باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد
خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال
انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله
عز وجل ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثنا واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم
عبارة عما يبري الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبري الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن
الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شا الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غايب عنه
لا يطلع عليه الا الله فمن هذا حسن الاستثنا في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط
الصحة اسباب خفية حتى لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثنا في الجواب عن الايمان وهي آخر

ما نختم به كتاب قواعد العقايد والله اعلم

كتاب اسرار الطهارة ومهماتها

وهو الكتاب الثالث من احياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم
تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى
آله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال تعالى يحبون
ان يتطهروا والله يحب المتطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ففطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد
ان يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه
مشحونا بالخبائث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربعة مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث
وعن الاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق
المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة
في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن
تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان
في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة
والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل
المذمومة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان
بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا
يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق
المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات
وكل ما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك
بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا

الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الي اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه
ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه
بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين
واستغراقهم جميع الهم والفكرة في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتي ان عمر مع علو منصبه
توضا بماء في جرة نصرانية وحتي انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم
باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون علي الارض في المساجد ويمشون
حفاة في الطرقات ومنهم من كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا
يقتصرون علي الحجارة في الاستنجاء وقال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشوا فتقام الصلوة
فندخل اصابعنا في الحصا ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف الاشنان علي عهد رسول الله
صلي الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا به ويقال اول ما ظهر من
البدع بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموايد والشبع فكانت عنايتهم كلها
بنظافة الباطن حتي قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما نزع نعله
في صلوته اذ اخبره جبريل ان عليه نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم قال
النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء واخذها منكرا لخلع النعل فهكذا كان
تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد
علي الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليها ولا يحترزون من عرق
الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط من احد منهم سوال في دقايق النجاسات فهكذا
كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الي طايفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبني الدين
فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبايث الكبر
والعجب والجهل والريا والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر علي الاستنجا
بالحجر او مشي علي الارض حافيا او صلي علي الارض او علي بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشي
علي الفرش من غير غلاف القدم من ادم او توضا من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا فيه القيامة
وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا
البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف
اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية

في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني
اقول هذا التكلف والتنظف باعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقتنع به لدفع
الغبار وغيره لكمن هذه الاسباب ان وقع النظر الي ذاتها علي سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن
بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه
متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريده اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره منكرا بان
يجعل ذلك اصل الدين وتفسير قوله صلي الله عليه وسلم بني الدين علي النظافة حتي ينكر به علي من يتساهل
به تساهل الاولين وان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الريا المحذور
فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا ينكر
علي من ترك ذلك ولا يوخر بسببه الصلوة عن اوايل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه
او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شي من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر
ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير
شغلهم به اولي لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس اذا لم يخرج الي منكر
او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرف من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر
في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر علي الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك
فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر علي المتصوفة ويزعم انه يتشبه
بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ لذلك لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك
قال اني اذن لفارغ فلهذا لا اري للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان
يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في
الفراء المدبوغة ولم يعلم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة
اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقايق الريا
والظلم حتي قال سفين الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الي باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك
فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطي هذا الاسراف فالناظر اليه معين له علي الاسراف
فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقايق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم
عاميا يتعاطي له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الي التساهل خير وذلك العامي
ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل صالح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال

والنفس ان لم تشتغل شغلت صاحبها فاذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات ووقت العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير على الجانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر ليصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا عن آخرها واذا عرفت هذه المقدمة استبنت ان الطهارة لها اربعة مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ولا ينجس الماء بوقوع شئ فيه منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز و بالموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من سائر الحيوانات ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستنجاء بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد دلك ابن عمر بثرة على وجهه وخرج منه الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها **الطرف الثاني** في المزال به وهو اما جامد واما مائع اما الجا

فيجزي الاستنجا، وهو مطهر ويطهر بعينه بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات
فلا تزال النجاسة بشي منها الا الما، ولا كل ما بل الطاهر الذي لم تتفاحش تغيره بمخالطة ما استغني عنه
ويخرج الما عن الطهارة بان تتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من
مايتين وخمسين منا وهو خمس مائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الما
قلتين لم يحمل خبثا ولو كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الما الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة
فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وتحتها لان جريات الما متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا
جرت بجري الما فالنجس موقعها من الما وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين ولو كان جري
الما اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع
في حوض قدر قلتين فاذا اجتمع قلتان من ما نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي
وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الما وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة
اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه
من جربه وتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة
مكة والمدينه اذ لا يكثر فيها المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اخر عصر الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفيه حفظ الما عن النجاسات
وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضا عمر
بما في جرة نصرانيه وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الما، والا فنجاسة النصرانية وانائها
غالبة تعلم بظن قريب فاذن عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السوال في تلك الاعصار دليل
اول وفعل عمر دليل ثاني والدليل الثالث اصغا رسول الله الانا للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها
بعد ان ترى انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الابار والرابع
ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين
ان يلاقي الما النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القايل ان قوة الورود
دفعت النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة
ايضا ماسة الى هذا اذ لا فرق بين طرح الما في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في
الاجانة وفيها ما وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على
اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ما جار ولم يتغير

انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على
قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما
الفرق وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية
ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضي بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس
الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمايع والماء واحد والاختلاط اشد من المجاورة السادس
انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يغرف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو
قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق
بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا فيها المتقشفون ويغمسون
الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد
عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله
صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شي الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل
مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ان الكلب يقع في المملحة فيستحيل
ملحا يحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه
وهو قليل فيبطل صفته ويتصف بصفة الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة
طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة جدير بان
يعول عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين
وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا يظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان
كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء
القليل واما قوله لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان
يقال اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك
المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهر في نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه
كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي يقلب الى صفته وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة
في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان
قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت قد قال لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك
فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين

جميعا على الجملة فيلي في امور النجاسات الى المساهلة فهما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس
ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل الطرف الثالث في كيفية
الازالة فالنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها
وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما
يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها
الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها والدلك والعصر مرات متوالية تقوم مقام الحت والقرص
في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد نجاسة عليه
ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات القسم
الثاني في طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم وتتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على
الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة آداب قضاء الحاجة
ينبغي ان يبعد عن عين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء
الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا
اذا كان في بناء والعدول ايضا عنها في البناء احب وان استتر في الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله
وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر
وان يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه
على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول
قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال
عمر رآني النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة
انه عليه السلام بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام
عامة الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله عز وجل
ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد
النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر
ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به
من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط

عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء
افقههم فدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى
الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال رجل لبعض الصحابة
من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني لاحسنها حاذق ابعد الاثر واعد المدر
واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة
يكون بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس

كيفية الاستنجاء ثم يستنجي لمقعدته بثلثة احجار فاذا انقى كفى والا استعمل رابعة فان انقى استعمل
خامسة لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر وياخذ الحجر بيساره ويضعها على المؤخر
كذلك ويمرها الى المقدمة وياخذ الثالثة ويديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة
او المؤخرة اجزأه ثم ياخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح
للثاني ثلاث مواضع ام في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في موضع المسح
فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب
الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل
النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن
فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات
الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا
معنى للوسواس وان يقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي
من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب
فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر ٥

سنن الوضوء اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق
للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة
وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين بغير سواك وقال لولا ان اشق

علي امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان
وكان عليه السلم يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتي ظننا
انه سينزل فيه شيء وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي ابن ابي طالب
السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك
علي آذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك
عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه
وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلي الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما
الاناء ويقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث
واستباحة الصلوة ويستديم النية الي غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجز ثم ياخذ غرفة
لفيه فيمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الي الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول
اللهم اعني علي تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الماء بالنفس
الي خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اوجد لي رائحة الجنة وانت عني راض
وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال
والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدا تسطيح الجبهة الي منتهي ما يقبل
من الذقن في الطول ومن الاذن الي الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان على طرفي الجبين
فهما من الراس ويوصل الماء الي موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر
الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين
ويوصل الماء الي منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها
خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين في مبدا اللحية ويجب ايصال الماء الي منابت
اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة
والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الماء علي ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر
العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلم فعل ذلك ويامل عند ذلك
خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض

وجوه اوليايك ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدايك وتخليل اللحية عند غسل الوجه فهو
مستحب ثم يغسل يديه الي مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الي اعالي العضد فانهم
يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلم من استطاع ان يطيل غرته
فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني
حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع اليمين باليسرى ويضعها علي مقدم الراس
ويمدها الي القفا ثم يردها الي المقدمة وهذه مسحه واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك
وانزل علي بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بما جديد
بان يدخل مسبحته في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه علي ظاهر اذنيه ثم يضع الكف علي الاذنين استظهارا
ويكرره ثلثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة
مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك
رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى
من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت
قدمي علي الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط
يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الي انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الي السماء وقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله
الا انت عملت سوا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم
اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا
شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم علي وضوءه
بخاتم ورفع ووضع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويحمده ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الي يوم القيمة
ويكره في الوضوء امور احدها ان يزيد علي الثلث وان يسرف في الماء توضا عليه السلم ثلثا وقال
من زاد فقد ظلم واسا وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعا والطهور ويقال
من وهن علم الرجل ولوعه بالما في الطهور وقال ابرهيم بن ادهم يقال اول ما يبدا الوسواس من
قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض
اليد فيرش الما وان يتكلم في اثناء وضوءه وان يلطم وجهه بالما لطما وكره قوم التنشف وقالوا

الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روي معاذ انه عليه السلم مسح وجهه بطرف
ثوبه وروت عايشه انه كانت له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عايشه ويكره ان يتوضا
من انا صفر وان يتوضا بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة
الانا من الصفر قال بعضهم اخرجت لشعبة ما في انا صفر فابي ان يتوضا ونقل كراهية ذلك
عن ابن عمر ومهما فرغ من وضوءه واقبل علي الصلوة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو
مطرح نظر الخلق فينبغي ان يستحي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب ليتحقق
ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر علي طهارة الظاهر كمن
اراد ان يدعو ملكا الي بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتخصيص ظاهر الباب البراني
من الدار وما اجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للبوار والمقت فضيلة الوضوء قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلي ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من
الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال
ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام
الي المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضا صلي الله عليه وسلم مرة مرة فقال
هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين مرتين آتاه
الله اجره مرتين وتوضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي ووضوء خليلي ابرهيم
وقال صلي الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوءه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا
ما اصاب الماء وقال عليه السلم من توضا علي طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال الوضوء
علي الوضوء نور علي نور وهذا حث علي تجديد الوضوء وقال اذا توضا العبد المسلم فمضمض
خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت
الخطايا من وجهه حتي تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه
حتي تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتي تخرج من اذنيه
فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتي تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه
الي المسجد وصلوته نافلة له ويروي ان الطاهر كالصايم وقال صلي الله عليه وسلم من توضا فاحسن
الوضوء ثم رفع طرفه الي السما فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شا وقال رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك

الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث
على ما تقبض عليه كيفية الغسل وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه
ثلاثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضا وضوءه للصلاة كما سبق
الا غسل قدميه فانه يوخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على
شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم على راسه ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل
شعر الراس ويوصل الماء الى منابتها ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفائر الا اذا علمت
ان الماء لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان
فعل فليعد الوضوء وان توضا قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا
منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسايل يحتاج اليها في عوارض الاحوال
فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران النية واستيعاب البدن
بالغسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم
من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست واجبة والاغسال الواجبة
اربعة الغسل لخروج المني ولالتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة
كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال لايام التشريق
ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك
مستحب كيفية التيمم من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او بمانع له عن الوصول
اليه من سبع وحابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره
ولم يبع منه الا باكثر من ثمن المثل او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة
الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص
لين بحيث يثور منه غبار فيضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة
وينوي عنده استباحة الصلوة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت او كثفت ويجتهد
ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض
الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه
ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا تجاوز اطراف الانامل من احدى
الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق

ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه
اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكلف تحصيل الاستيعاب
الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض
فله ان يتنفل كيف شاء فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية فهكذا يفرد كل فريضة
بتيمم والله اعلم القسم الثالث من النظافة التنظف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان
النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر الراس من الدرن
والقمل والتنظيف عنه مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة
فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا
دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف
الاذن فالمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من
الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة
الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف
اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ
والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه عليه السلام
كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح
لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان عمر وكان عثمان
طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية وقد ملات ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه
قالت عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم وراسه يطلع في الحب
يسوي من راسه ولحيته فقلت او يفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل
لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق
غيره وتشبيها للملايكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة
وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته
في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا
القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله عز وجل وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب

نزه الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من القصود فالتزين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا
بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه
بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده
الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين
والتقرب الى الله به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند
ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر السادس وسخ البراجم وهي
معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك وذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك
الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر رسول الله صلعم بها العرب وهي
رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها اوساخ
فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف
ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف
ينزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ
الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى ولا تقل لهما اف اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذى بهما
كما تتاذى بما تحت الظفر الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق
وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام ودخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال
بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم
بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك لفائدته ولا باس بطلب فائدته
عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان
في عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها
وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة
لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون
بقية العورة والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر
واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري
عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك

لا تفيد ولا تعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلوا قلب عن التاثير بسماع الانكار واستشعار
الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا
صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلوا عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما
فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب
تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام وراي ابن عمر في الحمام
ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن ازار للعورة وازار
للراس يتقنع به ويحفظ عينيه فاما السنن فعشرة الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا
لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما
يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه
ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث
المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام
الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر
للتامل في العورات ثم لا يخلوا الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار
فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول
ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول ولا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه
الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب
وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه
اشبه بيت بجهنم النار من تحته والظلام من فوقه نعوذ بالله منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر
الاخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة
فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحايك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم
رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار الى السقف يتامل كيفية
تركيبها والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها وكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى شيئا الا
الا ما يكون له موعظة من الاخرة بل لا ينظر الى شيء الا وفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر به
ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر بها افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع
صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردا وقبول في سوق او دار

تذكر ما تكشف من آخر امر بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب انها
اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم
يكن ممن اقفل على قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ
السلم بل يسكت ان اجاب غيره وان اجاب قال عافاك الله ولا باس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله
لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره
دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه
غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام
مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روي بعض الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله
فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في
الشتاء من النعيم الذي يسال عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة
الطب فقد قيل الحناء بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة يطفئ المرة ويصفي اللون
ويزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قايما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل
شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد
على الراس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال واما النساء فقد قال صلعم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته
الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المراة دخول الحمام الا نفساء
او مريضة ودخلت عائشة حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل
ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه النوع الثاني مما يحذف من البدن الاجزاء وهي
ثمانية الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا بتركه لمن يدهن ويرجل الا اذا تركه قزعا قطعا
فهو داب اهل الشطارة او ارسل الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا
لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال صلعم قصوا الشوارب وفي لفظ جزوا
الشوارب وفي لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي الشفة اي حولها وحفاف
الشيء حوله ومنه قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال
وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال تع ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفاء
القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلعم

وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تع فقصه لي على سواك
ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام
اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحي اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم
وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة
وذلك يسهل على من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب
وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع ازالة شعر العانة
ويستحب ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار وقلمها
مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء
اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي
تجتمع على الرواجم وظهور الارجل والايدي من العرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم
بالقلم وينكر ما تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوة ولو امرهم به لكان فيه فائدة
اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه
روي انه صلعم بدا بمسبحته اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة
الي الخنصر والختم بابهام اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ
مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من النقل
بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله عز وجل انه لا بد من قلم اظفار الرجل واليد
واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها ثم على اليمنى خمسة اصابع
والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدى بما على
يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمنى وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام
هو اليمنى وان وضعت الكف فالوسطى هو اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الي جهة
الارض اذ جهة حركة اليمين الي اليسار واستتمام الحركة الي اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه
الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور
الذهاب عن يمين المسبحة الي ان يعود الي المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى
ابهام اليمين وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى تصير الاصابع كالاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها

فتقديره كذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف وإن ذلك لا تقتضيه
الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إذا لم يثبت فيه نقل أن يبتدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى
كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم
صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمين فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه
الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وإنما يطول التعب
علينا ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم يخطر لنا وإذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بإعانته
صلى الله عليه وسلم وبشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن أن أفعاله صلعم في جميع
حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردد فيها الفاعل منها
بين قسمين أو أقسام كان لا يتقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم فإن
الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى وكل
ما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركها سدى أبعد كانت مرتبته
إلى رتبة الأولياء والأنبياء أكثر وكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبي هو القريب من الله عز والقريب
من الله عز لا بد وأن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام
حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم
فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين
ليكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا على الزوج فإن الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد
عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب وكذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث
وهي وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن المرة الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل
وإنما خصص اليمين بالثلاثة لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمنى أفضل فهي بالزيادة أحق فإن قلت
فلم اقتصر على اثنين لليسرى ما معناه وهو زوج فذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع
زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من
رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك
في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه صلعم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم
تسمعه واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين
النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والمورث إذ المورث

هو الذي حصل المال له واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل
اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار
لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقنا بعد تنبيه الانبياء عليها الا العلماء
الذين هم ورثة الانبياء السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فيقطع في اول
الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير
الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي ان
لا يبالغ في خفض المراة قال صلعم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه
واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ودمه واحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى
اشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو
امي من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين
ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الثامن ما طال من اللحية وانما اخرناها
لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق بذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها
فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين
واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب لقوله صلى الله عليه
اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول
المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية
وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط
في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل فصل وفي اللحية عشر خصال
مكروهة وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب
منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد
والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة
من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلعم خير شبابكم من تشبه
بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر
ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد
خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان خضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته

فرفعه اهل المراة الي عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبك
وقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان
قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لايريحون رايحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة جايز
تلبيسا للشيب علي الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن علي هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم
فقد قال صلي الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المومنين وكانوا يخضبون بالحنا
للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلما بالسواد لاجل الغزو وذلك لاباس به اذا صحت النية
ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الي التوقير
وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا علي الشبان واظهار الكثرة العلم ظنا بان
كثرة الايام يعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الاجهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لايوثر
الشيب فيها ومن كان غريزته الحمق فطول المدة يولد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب
بالعلم كان عمر رضي الله عنه تقدم ابن عباس وهو حديث السن علي اكابر الصحابه ويساله دونهم
وقال ابن عباس ما اتى الله تعالي عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالي قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض
رسول الله صلي الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن
فقال لم يشنه الله تعالي بالشيب فقيل وشين هو قال كلكم يكرهه وقال ان يحيى بن اكثم ولي القضا
وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله يقصر سنه كم سن القاضي ايده الله
فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلي الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه
وروي عن مالك انه قال قرات في بعض الكتب لايغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلا
اذا رايت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس
قال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام فيتعلم منه وقال علي بن الحسين من
سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا ايحسن
من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد
بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تترك حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغله
هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر ان علم سفين ان فاتني بعلو
ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه لابعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا

من الشيبة وقد نهى عليه السلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة
الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها
بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف العنفقة بدعة ومما حبسا العنفقة شهد عند
عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته وردّ عمر الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة
شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية
زينة الرجال فان لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن
النساء وقيل في غريب التاويل اللحية هي المرادة بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال اصحاب الاحنف
وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة الف
وكيف يكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والترفع في المجالس واقبال
الوجوه اليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية
وقيل ان اهل الجنة مرد الا هرون اخا موسى صلى الله عليه فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا
السادس تنقيصها كالعيبة طاقة على طاقة للتزين والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان
اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة
فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى او ينتهي
الى نصف الخد وذلك يباين هيأة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر الحافي
في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها مشعثة لاظهار الزهد التاسع والعاشر
النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق
والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من
جملة احاديث سنن الجسد اثنى عشر سنة خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة
والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف
الرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت
الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر
على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التي يجب التنظيف منها اكثر من ان تحصى وسياتي
تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى

هذا آخر كتاب الطهارة بحمد الله ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله

اسرار الصلوة ومهماتها

وهو الكتاب الرابع من احياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه الذي التنزل عن عرش
الجلال الي سماء الدنيا من درجات الرحمة احدي عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء
بترغيب الخلق في السوال والدعاء فقال هل من داعي فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين
السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ماتقلب بهم
الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر علي الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من
ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوي سلطانه
واتم لطفه واعم احسانه والصلوة علي محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلي آله واصحابه مفاتيح
الهدي ومصابيح الدجي وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام
اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب
ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الي تفاريعها النادرة ووقايعها
الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب
مقتصرون علي ما لابد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق
معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية مالم يجر العادة بذكرها في فن الفقه
ومرتبون الكتاب علي سبعة ابواب الباب الاول في فضايل
الصلوة الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة
الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها الباب
الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس في صلوة الجمعة
وآدابها الباب السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى
الباب السابع في التطوعات وما يجري مجريها

الباب الاول في فضايل الصلوة والسجود والجماعة والاذان وغيرها

منها فضيلة الاذان قال صلي الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة علي
كثيب من مسك اسود لا يهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن

ابتغاء وجه الله وام بالناس وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الي الله عز وجل ابتغاء وجه
الله وام بالناس ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلي الله عليه وسلم
لايسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولاشي الاشهد له يوم القيمه وقال صلي الله عليه وسلم يد الرحمن
علي راس المؤذن حتي تفرغ من اذانه وقيل قوله تعالي ومن احسن قولا ممن دعا الي الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين نزلت في المؤذنين وقال صلي الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل
ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاولي لاحول ولاقوة الابالله وفي
الثانيه كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها مادامت السموات والارض وفي
التثويب يقول صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم بحق هذه الدعوة التامة والصلوة
القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيله والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلي
بارض فلاة صلي عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلي وراءه امثال الجبال من
الملايكه فضيلة المكتوبة قال الله عز وجل ان الصلوة علي المومنين كتابا موقوتا وقال صلعم
خمس صلوة كتبهن الله عز وجل علي العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن
كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عهد عند الله ان شاء عذبه وان
شاء ادخله الجنة وقال صلي الله عليه وسلم مثل الصلوة الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم
يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما يرون ذلك هل يبقي من درنه قالوا لاشي قال فان الصلوة
الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوة كفارات لما بينهن ما اجتنب
الكباير وقال عليه السلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمه والصبح لايستطيعونها وقال
من لقي الله عز وجل وهو مضيع الصلوة لم يعبا الله بشي من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن
تركها فقد هدم الدين وسيل عليه السلم اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال من
حافظ علي الصلوات الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمه ومن ضيعها
حشر مع فرعون وقارون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله عز وجل
علي خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شي احب اليه منها تعبد به ملايكته فمنهم
راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان
بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلي الله عليه وسلم
من ترك صلوة متعمدا فقد بري من ذمة محمد صلي الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضا فاحسن

وضوء ثم خرج عامدا الي الصّلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الي الصّلوة وانه يكتب له باحدي خطوتيه حسنة
ويمحي عنه بالاخري سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسعي فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم
يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطي ويروي ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصّلوة فان وجدت
تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلي الله عليه وسلم يا با مر
اهلك بالصّلوة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل
التاجر الذي لا يحصل له الربح حتي يخلص له راس المال ولذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتي يودي
الفريضة وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصّلوة قوموا الي ناركم التي اوقدتموها فاطفوها

فضيلة اتمام الاركان قال صلي الله عليه وسلم مثل الصّلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفي
استوفي وقال يزيد الرقاشي كانت الصّلوة رسول الله صلي الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال
صلي الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الي الصّلوة وركوعهما وسجودهما واحد وانما بين
صلوتيهما كما بين السماء والارض واشار الي الخشوع وقال صلي الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل يوم
القيمة الي العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلي الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول
وجهه في الصّلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا صلي الله عليه وسلم من صلي الصلوة
لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة يقول
حفظك الله كما حفظتني ومن صلي لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها
عرجت وهي سوداء مظلمة يقول ضيعتني ضيعك الله حتي اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف
الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلم اسوء الناس سرقة من يسرق من صلوته
وقال ابن مسعود وسلمان الصّلوة مكيال فمن اوفي وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالي
في المطففين

فضيلة الجماعة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروي ابو هريرة انه صلي الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصّلوة
فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الي رجال يتخلفون عنها فامر بهم
فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة
العشاء وقال عثمان رضي الله عنه وروي مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد
الصبح فكانما قام ليلة وقال صلي الله عليه وسلم من صلي صلوة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال
سعيد بن المسيب ما اذن موذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي

من الدنيا الا تلك اخا ان تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعه وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها
ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان في آنفا
حتي اريت ان لي فضلا على غيري لا ام ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الي العلماء
وقال النخعي مثل الذي يؤم بالناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه
وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشر
آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي
ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء
ثم لا يجيبه وروي ان ميمون بن مهران اتي بالمسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه
راجعون لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلي الله عليه وسلم من صلي اربعين يوما
الصلوة في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال
انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكواكب الدري فيقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا
اذا سمعنا الاذان قمنا الي الطهارة لا تشغلنا غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم كالاقمار فيقولون
بعد السواك كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد السؤال كنا
نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون بعضهم بعضا ثلاثة ايام اذا فات احدهم
التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود** قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما تقرب العبد الي الله عز وجل بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله
بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني
من اهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون
العبد الي الله عز وجل ان يكون ساجدا وهو معنى قوله واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم
من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق
من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هو الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء
وقال صلي الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلاه امر هذا
بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروي عن علي بن عبد الله بن عباس
انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد
الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الي الصحة قبل المرض فما

يصلي احدكم الستين سنة ولا يقبل منه صلوة واحدة ولا يحسن الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شي
من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله عز وجل من رجل يحب
لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب
ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فاكثروا الدعاء عنده ذلك فضيلة الخشوع قال الله عز وجل
واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه
تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصلي لم يشرب الخمر وهو لا
يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مروي في الصحيح وقال عليه السلام انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع
وتباوس وتنادم وتقنع بيديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن الله في الكتب السالفة
انه قال ليس كل مصلي اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير
الجايع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك
لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة
ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع
لعمره ساير الى مولاه كما قال الله تع يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا
الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله
الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل
على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت
على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة قالت رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال صلى الله
عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم الخليل صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع
الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم
زوجني الحور العين فقال بيس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب

الا يذبك الذباب في الصلوة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر علي ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا اشيء فاني لست اسمعكم ويروي عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد واجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي ابن ابي طالب اذا احضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول جا وقت امانة عرضها الله علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروي عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلوة فاوحي الله تعالي اليه يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجايع ويودي الغريب ويرحم المصايب فذلك الذي يضي نوره في السما كالشمس ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا ييبس انهارها ولا يتغير ثمارها ويروي عن حاتم الاصم انه سيل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الي صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورايي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجا والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد علي الورك اليسري وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى علي الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

فضيلة المسجد ومواضع الصلوة

قال الله تعالي انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بني مسجدا لله ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال عليه السلم من الف المسجد الفه الله تعالي وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملايكة تصلي علي احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال ياتي في آخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون

فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وقال عليه السلم قال الله عز وجل ان بيوتي
في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زايره وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد
فانما يجالس ربه فما احقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات
كما ياكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب اي للجنه
وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكه وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك المسجد
ضوء وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما
بكت عليه السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس يبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال
عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيمة وبكت
عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما
حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي
الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اذا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة

والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب
والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه
ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلم عن الصفن والصفد في
الصلاة والصفد هو اقران القدمين معا ومنه قوله مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين
ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعي في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه
الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع
واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او
ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود
الخط وليدم على هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله
واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق تحصنا به من الشيطان ثم ليات
بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي فليوذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا
ويقول بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر

عن العصر وغيره وليكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا تعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا بالتكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان يكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع ومبدا التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه عليه السلم كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير جزما من غير ضم فهذه هيات التكبير وما معه القراءة ثم يبتدي بدعاء الاستفتاح ويحسن ان يقوله عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله تعالى وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة يبتدي فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة ان قدر او قدر ثلث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الهوي بل يفصل

بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور طوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر
والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا
في اول الصلوة الركوع ولواحقه ثم يركع ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة
الركوع وان يمد التكبير مدا الي الانتهاء الي الركوع وان يضع راحتيه علي ركبتيه في الركوع واصابعه
منشورة موجهة نحو القبلة علي طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا
وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه
عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الي جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الي السبعة
والي العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرفع من الركوع الي القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن
في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول
هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة السجود
ثم يهوي الي السجود مكبرا فيضع ركبتيه علي الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي
ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه علي الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع
بعدهما وجهه وان يضع انفه علي الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك
وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون في سجوده مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية
رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان لا يفرج اصابعهما في سجوده بل يضمهما ويضم الابهام
اليها وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه علي الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان
يقول سبحان ربي الاعلي ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا
معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس علي رجله اليسري وينصب قدمه اليمني ويضع يديه علي فخذيه والاصابع
منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني
واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح وياتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي
منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد علي الارض
ولا يقدم احدي رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتي يستغرق ما بين وسط ارتفاعه الي
القعود الي وسط ارتفاعه الي القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده
علي اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الي القيام ويبتدي في وسط ارتفاعه الي القعود و

في وسط ارتفاعه الي القيام حتى يقع التكبير في وسط اشتاله ولا تخلو عنه الاطرفا فهو اقرب الي التعميم ويصلي الركعة الثانيه كالاولي وبعد القعود في الابتداء التشهد ثم يتشهد في الركعة الثانيه التشهد الاول ثم يصلي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي آله ويضع يده اليمنى علي فخذه اليمنى وبعض اصابع اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحته يمنا ، وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا آله ويجلس في هذا التشهد علي رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماثور بعد الصلوة علي الآل وسننه كسنن التشهد الاول ولكن يجلس في الاخير علي وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الي جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلم عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من ورائه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانيه وينوي الخروج بالسلام عن الصلوة وينوي السلم علي من علي يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانيه ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلوة المنفرد

المنهيات نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم في الصلوة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء ، وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجايع والمتطيب والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعا فهو عند اهل اللغة ان يجلس علي وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس علي ساقيه جاثيا وليس علي الارض الا رؤس اصابع الرجلين والركبتين واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار علي راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما علي كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد علي سبعة اعضا ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق القميص في الصلوة وراه من الكف واما الاختصار فان يضع يديه علي خاصرتيه واما الصلب فان يضع يديه علي خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما المواصلة فهي خمسة اثنان علي الامام ان لا يصل قراته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراته واثنان علي الماموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وما

بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب
من الغايط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجايع والمهتم
وفهم نهي الجايع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا واقيمت الصلوة فابدوا بالعشا الا ان
يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم
وهو غضبان وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الي العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة
اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات
والعبث بالشي وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة اشياء في الصلوة من
الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي ايضا
عن ان يشبك بين اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه علي الاخرى
ويدخلهما بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا
ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصى بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا
يرفع احدى قدميه فيضعها علي فخذه ولا يستند في قيامه الي حايط فان استند بحيث لو سل
ما يستند اليه سقط فالاظهر بطلان صلوته تمييز الفرايض والسنن جملة ما ذكرناه اشتملت
علي السنن والهيات والاداب التي ينبغي ان يراعيها مريد طريق الآخرة جميعها والفرض من
جملتها اثنا عشر خصلة النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى ان
تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه قايما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع
اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا يجب وما عداها فليس بواجب بل هي سنن
وهيات فيها وفي الفرايض اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند
الهوي الي الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد
رفعها فهي هيات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة والاطراق
وترك الالتفات هيات القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول
السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الي القيام لانها ليست مقصودة
في نفسها ولذلك لم نفردها بذكر واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله
آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال

عنها ثم التشهد الاول والصلوة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم
التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر من جملتها بسجود
السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم
الصلوة في اعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير
النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا يقتضي سجود السهو
الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات
الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان
للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم
تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فهو فعل معتاد وما زيدت الا
للتشهد فتركها ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا
بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود
ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد
جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا تاما معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود
احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلاة فان قلت
تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب
به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل
والثواب مرجو على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع
تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن
واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء
ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت
بها الحيوة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها
الحيوة ولا مقاصدها ولكن تفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون
وبعضها لا تفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب
خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة
صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع والنية والقلب والاخلاص

كما سياتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة كالركوع والسجود والقيام وساير الاركان يجري منها مجري القلب
والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح
والتشهد الاول يجري منها مجري اليدين والعينين والرجلين ولا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت
الحيوة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك
من اقتصر على اقل ما يجري من الصلوة كان كمن اهدي الي ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف
واما الهيآت وهي ما وراء السنن فيجري مجري اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب
وحسن اللون واما الطايف الآداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة
اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الي حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب
القربة من السلطان اليه وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة
في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك
من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها
فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقد العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن
ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم
مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلوة لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول
علي صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلوة
ليظهر لك وقعها

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الكتاب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة
وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلاة لتكون
صالحة لزاد الآخرة بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك
قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته
كيف يكون مقيم الصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله حتى تعلموا ما
تقولون تعليل النهي للسكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد
وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا يمنع من الفحشاء وقال

صلي الله عليه وسلم كم من قايم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس
للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس
بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان عنها مثلا هي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة
علي النفس وكذي الصوم قاهر للقوي كاسر لسطوة الهوي التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد
ان يحصل منها المقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعال شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به
الابتلاء كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا ذكر الله وقراءة وركوع وسجود
وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا
ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما يمتحن المعدة والفرج بالامساك
في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق
ولا يشك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه
امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما
في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب واي سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب
غافلا وان لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد
هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسئله حاجة ثم جرت
هذه الالفاظ الدالة علي هذه المعاني علي لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جري علي لسانه
في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه
خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات علي لسانه وهو حاضر
الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه
الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا يشك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد
والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده
بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا من المقصود بالصلاة التي شرعت
لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بما هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه
الخاصية لا سبيل الي انكارها في النطق وتميزها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود
التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما الصنم
موضوع بين يديه وهو غافل عنه او ان يكون معظما للحايط الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج

عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد
الدين والفاصل بين الكفر والايمان ويقدم على الحج وساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص
وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان
ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال
قال الله عز وجل فيها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على
القلب حتى حملت على امتثال الاوامر المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا ما يدل
من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا
في صحتها خالفت به اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب
العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يطلع لهم على ما في القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون
ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما انه
ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعي الاجماع فقد نقل بشر بن الحارث
فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن
الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من
على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلوة له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلم ان العبد ليصلي
الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل من غيره
صلى الله عليه وسلم لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد
من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة
اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآيات ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى
في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط
منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك
ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم
على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له
اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك
وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض

عن الخدمة ويتهاون بالحضرة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك
الخيرة فجد في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة
مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوي كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها
ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر من كتاب قواعد العقايد ان قصور الخلق احد
الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر علي هذا القدر من البحث فان فيه
مقنعا للمريد الطالب بطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام
ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقي به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه
هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل
في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم
والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل
فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل
والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه
ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شي منه فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء
حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معني اللفظ فاشتمال القلب علي
العلم بمعني اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس
في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معاني لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن
قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا
تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل
يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليهما واما
الهيبة فزايدة علي التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمي هايبا
والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمي مهابة بل
الخوف من السلطان المعظم يسمي مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجاء فلا شك
في انه زايد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي
ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله عز وجل كما انه خايف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زايد

على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء
حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب واما اسباب المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر
فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن معطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا
فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا ينصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض
المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها
فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة
وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك
فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن
ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع
واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو
علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشا
قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد
لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك
ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب يتولد من معرفتين
احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس
لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين
الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة
جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف
من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة
النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته
ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا
مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصايب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على
خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي
اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم

انعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في وعد الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه
بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها
وخبث دخلتها وميلها الي الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله
والعلم بانه مطلع علي السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا
حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما
طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب
الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعني كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها
علي القلب كما سبق في بيان اليقين في كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عايشة
رضي الله عنها كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد
روي ان الله عز وجل اوحي الي موسي عليه السلم يا موسي اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتقض اعضاءك
وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي
فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحي الله اليه قل لعصاة
امتك لا يذكروني فاني آليت علي نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا
في عاصي غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في
القلوب انقسم الناس الي غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والي من يتمم ولم يغب قلبه في لحظه
بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط
اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من علي يمينه و يساره
وقد كان وجيب قلب ابرهيم صلى الله عليه وسلم كان يسمع علي ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم
وترتعد فرايضهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا
مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد علي ملك او وزير ويحدثه بمهمه
ثم يخرج ولو سيل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر علي الاخبار عنه لاشتغال همه به عن
ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه
وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس
يوم القيمة علي مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد

صدق فانه يحشر على كل مامات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن
صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **بيان الدواء النافع**
حضور القلب اعلم ان المومن لابد وان يكون معظما لله وخايفا منه وراجيا له ومستحيا
من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة
لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن
الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا
بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما
الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى
غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت
نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لابد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع
هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب
من حايط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة
المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان العباد يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود
ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون موضع السجود
ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا
ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية
الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع
في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها
به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة
وخطر المقام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك
لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك
ان تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلوتهم فهذا
طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هايج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل
الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار
القلب ولا شك في انها يعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن

تلك الشهوات وقطع تلك العلايق فان كل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه
اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم
وعليها علم وصلي فيها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الي ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي
وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا
فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلم قد احتذي نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال
تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الي اول سايل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جردا وين
فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان علي المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه
ونظرة اليكم وقيل ان ابا طلحة صلي في حايط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه
بصره ساعة ثم لم يدر كم صلي فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله
هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل اخر انه صلي في حايط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه
فاعجبته فلم يدر كم صلي فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين
الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكرة وكفارة لما جري من نقصان الصلوة وهذا هو الدوا القاطع
لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الي فهم الذكر فينفع في الشهوات
الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين
بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة
اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود
الي فكره فتعود العصافير فيعود الي التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت
الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار
انجذاب العصافير الي الاشجار وانجذاب الذباب الي الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما
ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل
واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوي باطنه
علي حب الدنيا حتى مال الي شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها علي الآخرة فلا تطمعن في ان تصفو
له لذة المناجاة في الصلوة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل
مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك
المجاهدة ورد القلب الي الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا ولمرارته استبشعته

اكثر الطباع ويبقى العمل تمزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لايحدثون
انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا يطمع فيه لامثالنا وليته سلم من الصلوة شطرها او
ثلثها عن الوسواس فيكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة
في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل لا محالة
ولا يجتمعان **بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط**
من اعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل عن التنبيهات
التي من شروط الصلوة واركانها اما الشروط السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة
واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء
يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين
ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلعم
ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها **واما الطهارة** فاذا
اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما
فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك **واما**
ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق
فما رايك في عورات باطنك وفضائح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاخطر تلك الفضائح ببالك وطالب
نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فيذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك
وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء
والخوف ... فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله
افترى ان صرف القلب عن ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات ولا مطلوب سواه وانما
هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط الجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى
لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب
وعدلت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت

الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفريغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه
وسلم اذا قام العبد الى صلوته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه واما
الاعتدال فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع
اعضائك مطرقا متطاطنا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب
التواضع والتذلل والتبري عن الرياسة والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله
تعالى في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع
عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله
بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من اهلك
او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع
اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين
من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشاه وهو احق ان تخشى ولذلك
لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه كما تستحيي من رجل صالح
من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف
عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله عز وجل رجاء لثوابه وخوفا من عقابه
وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك
وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي
ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير
فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله
يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله عز وجل وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك
وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما
اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء
الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه
وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل

توجهه بذلك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الي فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الي مانيه وهمه
في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل علي فاطر السموات واياك ان يكون اول مفاتحتك المناجاة
بالكذب والاختلاف ولن ينصرف الوجه الي الله عز وجل الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه
وان عجزت عنه علي الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك
ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم يكن كذلك كنت كاذبا واجتهد ان يعزم عليه
في الاستقبال وتندم علي ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي
فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله عز وجل وحمد الناس وكن مستشعرا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في
قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع علي
القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده
وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور
الدنيا لم يكن ملايما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف
قلبك عن الله حسدا لك علي مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها
وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك وان من قصده سبع
او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت علي مكانه ان ذلك لا ينفعه
بل لا ينفعه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمان فلا
يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم علي التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا
الله اذ قال تعالي فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى
الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في
الصلوة بذكر الاخرة تدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما يقرا فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك
فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل
يحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره
وهذه درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الي المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين
ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه
القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام

الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم
كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا
من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف
بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا الله واما الخوف فلهول يوم الحشر والحساب
الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول
والقوة بقولك اياك نستعين وحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته
واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان
اللعين ثم اذا فرغت عن التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا
فعين سؤالك ولا يطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي
بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين فاض عليهم نعمة الهداية من
النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى
والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى
فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها
لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن
حمده الحديث الى آخره فلو لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به
غنيمة فكيف بما ترجو من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتي في كتاب
تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه
فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء عليهم السلم روي ان زرارة بن اوفى انتهى
الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فخر ميتا وكان ابرهيم النخعي اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب
حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده
ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها
ينكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم راعي الهيئة في القراءة

فرتل ولا تسرد فان ذلك ايسر للتأمل وفرق بين نغماتك في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد
والتمجيد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يخفض صوته
كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويروى انه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في
الدنيا واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك
تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون
بالمناجي عن غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا
ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى مصليا يعبث بلحيته
اما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح
الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كانه وتد وكذلك ابن الزبير كانه عود
وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي
من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن
بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن
اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه
وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا
بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق
قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك
في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده
بالتكرار ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب
الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات
والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل
على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك
من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى ثلثا واكده
بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك

فان رحمته يتسارع الي الضعف والذل لا الي التكبر والنظر فارفع راسك مكبرا وسايلا حاجتك وقايلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم او ما اردت من الدعاء. ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الي السجود ثانيا كذلك **واما التشهد** فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معني التحيات واحضر في قلبك النبي صلي الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفي منه ثم سلم علي نفسك وعلي جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله سبحانه وتعالي عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلي الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصين به ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعايك ابويك وساير المومنين واقصد عند التسليم السلم علي الملايكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله علي توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا يعيش لمثلها قال صلي الله عليه وسلم صل صلوة مودع ثم استشعر قلبك الوجل والحيا من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان يكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجوا مع ذلك ان تقبلها بفضله وكرمه كان يحيي بن وثاب اذا صلي مكث ما شاء الله يعرف عليه كآبة الصلوة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا في تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم علي صلوتهم يحافظون والذين هم علي صلوتهم دايمون والذين هم يناجون الله عز وجل علي قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه علي هذه الصلوة فبالقدر الذي تيسر له منها ينبغي ان يفرح وعلي ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمدنا الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسأل الله تعالي ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل وادا،ها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحيا سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال الله تعالي واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل مصلي علي قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتي ينكشف

لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء مثال كما لو كشف لبعضهم الدنيا في صورة
جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له
من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقايق علوم المعاملة وتكون لتعين تلك المعاني في
كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الي شي معين كان ذلك
اولي بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراي الا في المراة الصقيلة وكانت المراي كلها صدية فاحتجبت
عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية وتسارعت الالسن الي انكار
مثل ذلك اذا الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل مثلا لانكر امكان وجود انسان في متسع
الهوا، ولو كان للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان
في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان
ينكر احد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب
عما سوي الله فقدوه وانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به
الي ان يشاهد بالتجربة وفي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه
بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبيه الي الهوا، يصلون بصلوته ويؤمنون على دعايه وان المصلي
لينثر عليه البر من عنان السماء الي مفرق راسه ويناديه منادي لو علم المناجي من يناجي ما التفت
وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهي ملايكته بصدق المصلي ففتح ابواب السماء والموا
جهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية مكتوب يا بن آدم لا تعجز ان تقوم بين
يدي مصليا باكيا فانا الله تعالى الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري فان كنا نري ان تلك
الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من قلبه واذا لم يكن هذا الدنو هو
القرب بالمكان فلا معني له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلي ركعتين
عجبت منه عشرة صفوف من الملايكة كل صف منها عشرة الاف وباهي الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد
قد جمع في الصلوة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقايمون
لا يركعون الي يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الي يوم القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما
رزقا الله تعالى الملايكة من القربة والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا
وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملايكة في الترقي من درجة الي درجات فانه لا يزال يتقرب
الي الله فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته